

فرحات
الياس
يقدم
ديوان
مطلع الستار
١٩٦٧

ديوان
مَطلع الشتاء

تأليف

إلياس فرحات

أغسطس سنة ١٩٦٧

مطبعة
محمد عاطف ورشيد طه وشركاهما
شارع كلوت بك حارة الوطن رقم ٤ ت ٩٠٤٩٩٤

فهرس

شاعر العروبة فى المهجر

إلياس فرحات متنبّى المهجر ، وشاعر الحكمة الرصينة ، والعروبة الأصيلة ، والوطنية الصادقة ... لم يتعلم فى مدرسة ، ولم يتلق على أستاذ ؛ ولكنها الموهبة الشاعرية الفذة ، والفطرة العبقرية الكامنة ، تفتّحتا فى مدرسة الحياة ، وتفجرتا بينابيع الشعر . بعد أن صهرهما الكفاح الجاهد ، وأرهفهما الصراع الشاق ، وغذاهما الألم المرير ، وصقلهما الاطلاع والتمرس . حتى انتقل من زجال عامى ، إلى شاعر عبقرى ، يمثل فى المهجر الجنوبى الحفاظ اللغوى ، والفحولة الشعرية ، برصانة أسلوبه ، وبلاغة عبارته ، وقوة ديباجته ، وقدرته على تطويع القوافى المحكمة لمعانيه ، وبعده عن التصنع والتعقيد ، وجمعه بين الطلاوة والفكاهة والدقة فى التصوير ، وإجادته فى باب الحكمة الصادقة التى روّجت شعره بين الناس ، حتى أطلقوا عليه إسم (متنبى المهجر) .

ولا يتسع المقام هنا للافاضة فى جوانب شاعرية إلياس التى اتسعت للوطنية العربية ، والحنين الممض ، والغزل الرقيق ، والوصف الدقيق ،

والنقد الإجتماعى ، والحكمة السائرة . ولا للحديث عن حياته الشاقة التى عاناها فى المهجر ، يصارع العيش الضاغط ، والحظ العاثر ، والحرمان القاسى ، كما صور ذلك فى قصيدته (حياة مشقات) وغيرها ، مما يعكس حياة الكثير من المهاجرين هناك .

ولكنى أسجل له بالفخار والاعتزاز صفحة مشرقة زاهية ، تمثل وفاءه لعروبته ، وحبه لبلاده ، وصدقه فى وطنيته ، وحرصه على قوميته . فأنا أكتب هذه الكلمة ، وبلادنا العربية الحبيبة تتعرض الآن لعدوان ثلاثى جديد ، دبرته أمريكا وذيلها إنجلترا وربيبتهما إسرائيل التى احتلت بالتآمر الدنىء والغدر الآثم ، أجزاء من الوطن العربى فى الجمهورية العربية وسوريا والأردن ، منذ الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ .

وفى شعر إلياس فرحات مايذكرنا دائما بهذا التآمر الاستعمارى الصهيونى ، وهو يحسّه ويعايشه ويتنبأ به . وما كان إلياس ليعيش بوجدانه العربى مع وطنه الصغير (لبنان) فحسب ، بل إنه دائما مع

وطنه العربى الكبير ، يؤمن بوحدته ، ويدين بقوميته ، ويتغنى بأمجاده، ويطلق فى أسماع أعدائه الصيحات الراعدة ، ويقذف فى وجه الاستعمار قذائف شعره المتأججة بالسخط والغضب ، والثورة والاستنكار .

أليس هو الذى فضح أمريكا فيما أسمته (النقطة الرابعة) للتمويه والتضليل ، حيث يقول فى قصيدته : (حكمة الأفعى) :

قالت الأفعى لأمريكا : اسمعى
إن تقليدك لى عينُ الشطَطْ
أين منى أنت يامَن سُمُّها
بُغيةَ التمويه بالشهد اختلطْ
أنا لا يهتف بالسلم فمى
ويدى ترسم للحرب الخططْ
أنا لا أنصر لصًّا ، إنّ مَن
ينصر اللص من اللص أحطّ
أنا لا أحمى جناة خانةً
قذف الموج بهم من كل شط

خدعة سمّيتها رابعة

كلّ أرقامك من هذا النمط

أنتِ فيك السم لا حصر له

وأنا السمّ بنابيَّ فقط

وأليس هو الذى يقول عن أمريكا أيضا فى مساعدتها لإسرائيل:

أنا لا أمدّ يدى إلى بلد

جانٍ يمدّ إلى الجناة يدا

دفع اللصوصَ إلى منازلنا

ومضى يسوق إليهم المددا

لولاه ما تركتْ صوارمُنا

فى أرض يعرب منهمو أحدا

لكنه سيرى نهايتهم

سيرى الذى مِن زرْعه حصدا

ولئن أراد بقاءهم أبدا

فبعزمنا سنقرّب الأبدا

وهو الذى يقول :

مَن شدَّ أزر اللص كان شريكه
فأميركا وربيبها صنوان
والانكليز أعيذ كل مسالم
من شر طائفة من الغيلان
سيكون حظ السالبين حقوقنا
منا كحظ الفرس والرومان

إن الإمبريانية الاستعمارية المتسترة التى تمارسها الدول الغربية الكبرى هى هى فى كل زمان ، وهانحن أولاء نرى منها اليوم ماراه إلياس بالأمس ، وليست إسرائيل إلا كلب صيدها :

مابال مَن حُسبوا كبارا أصبحوا
وجديدهم لعتيقهم ترديد ؟
يتآمرون على الشعوب كأنها
نَعَمٌ موسمةٌ لهم وعبيد

نزلت بنا النكبات من تدبيرهم :

العار والتقتيل والتشريد

غُصبت منازلنا . وكم من زاعمٍ

فى الناس أن الغاصبين يهود

هذى كلاب الصيد ، كيف نذمها

ونجلّ صياداً بهن يصيد ؟!

ويتحقق حلم إلياس فى سلاح البترول العربى اليوم ، حين كان يقول مؤمّلا أن يستخدم العرب هذا السلاح :

لو كان لى نفط الكويت جعلته

يمشى على جثث اليهود جنودا

ذلك هو إلياس فرحات الذى يتغنى دائما بأمجاد عروبته ، ويعتز بها :

العُرْب واقفة يا شمس فانطفئى

والعُرب زاحفة يا أرض فاشتعلى

ويؤثر وطنه على أعز شيء لديه :

ومن الحوادث حافزٌ طُبعتْ
كلماته بالنار فى كبدى

أفكان يمكننى السكوت ، ولى
وطن أعزّ علىّ من ولدى

وأنا ابنه ألفيه منطرحاً
بين الذئاب مضعضع الجلد ؟

وبعد ، فإن شعر إلياس فرحات يعكس صفاته الخلقية التى طبع عليها، من إباء شديد، وتمرد عنيف ، وأنفة عيوفة . فهو الذى لم تكسر عثرات الحظ من كبريائه ، ولم يعفر تراب الملق جبينه . إنه جرىء فى الحق ، صريح فى القول ، لا يعرف المداهنة ولا المحاباة :

لا تنتظر أن ترانى راضيا فأنا
أرضى ضميرى ولو أغضبت أصحابى

وأية صراحة أظهر من قوله :

وإنى لمطبوع على الصدق جاهر
بآياته والنصل فى النطع يقطر
أقول لذى العينين : إنك مبصر
وللأعور المغرور : إنك أعور

وإلياس لايعرف المذهبية فى الدين ، فالدين عنده نقاء القلب ، وصفاء الضمير ، ووحدة وطنه عنده فوق كل اعتبار . ومع ذلك فإنه يشيد بالإسلام ، لأنه نهض بالعرب ، ويمجد نبيه ، لأنه حررهم من الجهل :

إنّ فى الإسلام للعرب عُلاً
إن فى الإسلام للناس أخوّهْ
يارسول الله إنا أمة
زجّها التضليل فى أعمق هوّه
ذلك الجهل الذى حاربتَه
لم يزل يُظهر فى الشرق عتوّه

ولاأجد آخر الأمر بدًّا من أن أشير إلى بعض روائعه فى الحكمة، وأوابده فى التصوير . فمن ذلك قوله فى التفرقة :

وحّدتَ أم أشركت، ذنبك واحد
إن كنت بين الناس غير موّحد
وإذا حكمت على امرىء لسواده
فلقد حكمت على حسام مغمد
فلرب قلب كالحمامة أبيض
للخير يخفق تحت جلد أسود

ويقول فى نقده الاجتماعى :

أرى فى شعبنا بعضا ذليلا
وأخشى أن يصير البعض كلا
فإن الخل ليس يصير خمرا
ولكن قد يصير الخمر خلا

وقوله :

كم فى البرية من زوجين ما برزا
إلا بسيارة تزهو بسيّار
فإن تضمّهما جدران قصرهما
قاما بتمثيل دور الهرّ والفار

ومن معانيه الدقيقة :

والصدر فارقه الرجاء فقد غدا
وكأنه بيت بلا مصباح
يمشى الأسى فى داخلى متغلغلا
بين العروق كمبضع الجراح

وقوله :

ماشيته يوما فَدُسْتُ خياله
عرضاً فأمَّرَ لؤمُه بحذائى

هذا هو إلياس فرحات الذى أنجبته قرية (كفر شيما) اللبنانية ، وراح فى البرازيل يكابد مرارة الكفاح ، بين تربية الدواجن ،وصناعة

الأطعمة ، وتصفيف الحروف، والتجول بالكشة ، والطواف بالآفاق .
وشاعريته تلمع وتتوهج على لهيب الصراع المرير ، وتستعلى وتترفع على
جراح الأسى وأشواك الحظ العاثر .

وهكذا كما قال جورج حسون : « أصبحت تلك القطرة من الندى
التى ذرفتها مقلة الفجر على ورقة الورد ، قلقة مترجرجة ، ماسة قوية
قاسية صلدة ، يتألق نورها لماعا »

فمع هذه القيثارة العربية الشجية ، نستمتع بأنغامها ، ونردد أناشيدها ،
وهى تتغنى بأمجاد العروبة ، وتشدو بانتصاراتها :

هرّت كلابُ الغرب تشكو الويل مما انتابها
عضّت حذاءكَ ياجمال فحطّمتْ أنيابها
أبت الكنانة أن يدوس الغادرون ترابها
فغدت جحيما عندما اقتحموا عليها بابها

نعم إنه انتصارنا فى معركة العدوان الغاشم على بور سعيد :

برطانيا حَيى جمالا من بعيد واخشعى
ماشقّ دُمّل كبريائك غيرُ هذا المبضع

ومع هذه القيثارة عندما تستحيل رعوداً قاصفة تصم آذان المستعمرين والصهاينة ، وقذائف من لهب الشعر الحماسى المتوهج تحرق الغدر والتآمر ، وتسحق الظلم والمكائد ، فى معركة المصير العربى ، والكفاح المقدس ... ؟

حسن جاد
أستاذ مساعد بكلية اللغة العربية
جامعة الأزهر

إلياس فرحات

إن إعجابنا بفرحات الرجل لا يقل عن إعجابنا بفرحات الشاعر ، الرجل الذى جاهد وكافح من أجل العيش ، ولقى صفوف الآلام ، فلم تهنه الأيام من ترفعه وكبريائه وصلابته ، وظل مرفوع الرأس ، صلب العود ... وقصيدته « حياة مشقات » تفتح لنا كوة صغيرة على بعض الآلام والمتاعب التى لاقاها فى شبابه وكهولته ، ويقص فيها الكثير من المشاق التى صدمته فى أوائل هجرته ، والبقاع الخاوية التى كان يجتازها كل يوم ليؤدى العمل الصغير الذى وكل إليه فى تصريف تجارة لمحل تجارى فى « سان باولو » ، هذه البقاع التى كان يطريها الشاعر جاداً دؤوبا ، وكيف كان فى هذه المهامه يقنص غذاءه بالصيد ، ويبيت فى أكواخ خاوية يبكى فيها البوم وينذب .. وهذه المشاق التى لقيها بقيت ذكراها حية فى وجدانه ، عذبة فى فمه ، لأنه فى غضونها لم يحن للذل رأسه ، كما يقول فى آخر القصيدة :

حياة مشقات ولكن لبعدها

عن الذل تصفو للأبى وتعذب

عاش فرحات فى زهد وقناعة غير حافل بالمال ، ولا آبه بالثراء ، يقتات من روحانية فياضة ، ويسير على فلسفة رواقية فى الحياة غير مبال بما فيها من شقاء أو سعادة ، راضيا مطمئنا إلى إلهام ضميره ، مما يصوره فى قصيدته « لولا ضميرى » التى يقول فيها :

شكوت ضميرى شكوى الجهول
ونحت على الحظ نوح الغراب
فأسمعنى الله صوتا يقول
أتشكو ضميرك ياابن التراب ؟
ولولا ضميرك ماكنت شيئا
ولو كنت من نيرات الثريا

ويقول من قصيدته « عجل الذهب » متعجبا :

أناس تدوس إله الضمير
وتحنى الرؤوس لعجل الذهب

ولم يقف فرحات محصوراً فى طلب الرزق وجهاد الحياة ، ولكن نفسه امتدت وامتدت فشملت حب الوطن الصغير وحب الوطن العربى الكبير ، وازدانت بتسامح عظيم لا نجده إلا عند النادرين من ذوى القلوب الكبيرة ، فهوذا يخاطب وطنه لبنان فيقول :

لبنان ياوطنى فديتك موطنا
مضنى يصد عن الدواء الشافى
منى لك النصح البرىء ومنك لى
قلب الشفاه وهزة الأكتاف

إلى أن يقول :

وأرى التعصب خلف علمك بارزا
كالصبح خلف البرقع الشفاف
لبنان كذبنى تجد منى فتى
أدنى بنى الدنيا إلى الإنصاف

وآمن فرحا بالعروبة فشملت محبته الوطن العربى الكبير ، وذلك كثير غزير فى شعره وفى ديوانه الجديد « مطلع الشتاء » ، حتى ليقول :

نهوى العراق ورافديه وماعلى
أرض الجزيرة من حصى ورمال
وإذا ذكرت لنا الكنانة خلتنا
نروى بسائغ نيلها السلسال
بنا وما زلنا نشاطر أهلها
مر الأسى وحلاوة الآمال

هذا هو شاعرنا الحبيب الأبى المنافح المتسامح المحب لوطنه وعروبته ، فنعمى له ، وتحية لديوانه الجديد المتألق « مطلع الشتاء » ، الذى سوف نتناوله بالدراسة والنقد بعد ظهوره إن شاء الله ؟

مصطفى عبد اللطيف السحرتى
رئيس رابطة الأدب الحديث بالقاهرة

بفضل كفاحه فى حياة العمل على سمت الجاه أو عرش الغنى ، وتشير إليه الأيدى بالتعظيم والتمجيد ، ولكن دون أن يكون له تحت شمس الأدب ظل .

أما هذان العاملان اللذان خلقا إلياس فرحات فهما : اكتشاف النفس ، ثم البيئة الملهمة المواتية . ففى المهجر كشف إلياس فرحات نفسه ، ونزل لأول مرة على أرض من ذاته تحوى كنوزاً غير مستغلة ، وفى المهجر اهتدى الشاعر إلياس فرحات إلى بيئة هيأت للشاعرية أن تولد وأن تنمو إلى العنفوان ، وأن تتأكد شعراً رصيناً مسبوكا ، بعد أن كانت بداياتها زاجلة لها قوام من العامية .

فالعبقرية الشعرية التى يمثلها إلياس فرحات، عبقرية كفاح ونضال ، عبقرية عرق ودمع ودم ، عبقرية ثورة وغضبة وجهاد واجتهاد ، فلم تولد العبقرية عند إلياس فرحات على سرير من الحرير ، ولا على فرش فرش من الخز والديباج ، ولم ترضع لبان الدسم ، ولكنها ولدت فى منابت الكفاح ، وكل تلك المنابت أشواك ، وعاشت تتنسم الحرية الفكرية فى جو مشحون بالإحن والبغض ، وفى هذا ما يعلل المرارة والثورة وروح الغضب التى تطبع أغلب شعر فرحات ، حتى لقد قال عن نفسه : أنا بلبل مسخ الزمان صداحى .

وآيات فرحات بينات ناطقات على تعدد مآربه فى الشعر وتنوع آفاقه فى دنيا القريض ، ولكن لسانه العربى ووجدانه اليعربى هما مدخله إلى عالم البيان . وكل شعره سبيكة من صافى الذهب ، وكل مذاهبه تصب فى مجرى واحد ، هو مجرى الضاد اللجينى ؟

وديع فلسطين — القاهرة

عبقرية فرحات

إلياس فرحات عبقرية عصامية معدودة بين عبقريات الأدب المعاصر ، ولد فى كفر شيما فى لبنان ، واختلف على المدارس فلم يكن حظه منها إلا لقف معلومات لا تغنى رجلا فى حياة كفاح ، وبالتالى لا تبشر لصاحبها بأية منزلة فى دنيا الأدب . وكان إلى يوم هجرته لا يحسن علماً ولا لغة ولا يتقن فناً من فنون الأدب ، ولا ينظم شعراً، ولا يعرف من النحو والصرف ما يقوم عبارة ، ولو طبقت عليه نظريات قياس الذكاء فى الفترة الأولى من حياته ، لأجمع العلماء النفسيون على أنه رجل ميئوس من نجاحه فى ميادين الفكر والقلم والرأى ، لأن يومه لا يومئ إلى غد مضئ ، ولأن مستوى ذكائه دون المتوسط .

ولكن إلياس فرحات الخامل فى لبنان ، استوى بعيد الهجرة على عرش من العبقرية المصنوعة والمطبوعة ، وجاء مكذباً نظريات علم النفس من حيث قياس الذكاء وتقدير مناسيبه ، فهذا الشاب الساذج الطرير الذى لم تبد عليه لمعة من ذكاء ، ولا ومضة من ومضات العبقرية ، صار فى بضع سنين شاعراً عربى الديباجة عربى الأداة عربى البيان، عربى الفصاحة ، عربى النفس والروح . وأين؟ فى بلاد كل من فيها حوله يرطن ويعجم ، وينطق الضاد « داداً » كما قال فى وصفهم أستاذنا العقاد .

ولكن عبقرية إلياس فرحات ولدت فى بيئة تغتذى بالكفاح ، وترعى على كلأ النضال فعلى الشاعر قبل أن ينظم بيتاً أن يدبر له مسكناً، وعليه قبل أن يفاخر ببضاعته الشعرية أن يلتمس له صناعة بها يقتات ، ولولا اجتماع عاملين ملهمين فى إلياس فرحات ، لكان اليوم يستوى

بين يدي مطلع الشتاء

الشاعر الكبير إلياس فرحات طوف اسمه فى شرق الأرض وغربها ، وأصبح شعره نغماً من المجد على كل شفة ولسان . . .

استطاع أن ينتصر على كل ما أحاط به من مثبطات ، بعصاميته وعبقريته ! .

فقوة إرادته ، ولا أقول عناده ، انتصرت على الجوع ، وانتصرت على العرى :

كأن الهواء مع النار لما رآنى لبست جديدى اتفق
فجاء بها من دخان القطار ونثرها فوقه فاحترق
فقلت أعاتب ربى مشيرا إلى الحرق وهو كباب النفق
إلهى تضن على بثوبى وتكسو الغصون ثياب الورق
ولو كنت غصناً لجددته متى ما يشير الربيع انطلق
ولكن أرى دون تجديده غيوم الأسى ، وسيول العرق ؟

وانتصرت على الحرمان :

سعادة نفسى متى نلتقى ؟ لعلك للآن لم تخلقى ! . . .

وكذلك انتصرت قوة إرادته على الفقر الذى صوره فى قوله :

أغرب خلف الرزق وهو مشرق وأقسم لو شرقت ، راح يغرب ! . . .

وانتصرت على حرمانه من التعلم فى المدرسة :

لئن كنت لم أدخل المدرسات صغيرا ولا بعد هذا الكبر
فذا الكون جامعة الجامعات وذا الدهر أستاذها المعتبر

أجل انتصرت إرادته الجبارة على كل هؤلاء الأعداء الزرق ، وقفزت به عبقريته الأصيلة إلى أن أضحى شعره الرائع من دعائم نهضتنا .

لقد قرأنا للشاعر رباعياته ، وربيعه ، وصيفه ، وخريفه ، فكنا نلمس الأصالة ، وصدق العاطفة والإخلاص ، تلك العناصر المكونة للشعر الذى يستحق أن يسمى شعرا ! . . .

ومطلع الشتاء متمم لما بين أيدينا من روائع الشاعر فرحات ، التى تنم على نفس عالية . تعشق :

تعشق العروبة ومجد العرب .

وتنادى بكرامة الإنسان

وتحارب التعصب فى شتى ألوانه وضروبه حتى ليخاطب فيصلا فيقول :

طبب بحكمتك الشآم فإنها كادت تموت بعلة الأديان

وتتعبد فى محراب الجمال ، ولعل قصيدته «خصلة الشعر» تشهد على ما نقول خير شهادة .

* * *

يقيناً أننا كلما مددنا أيدينا إلى روائع الشاعر فرحات ، وكلما مر الرجل فى خاطرنا ، شعرنا بأننا نعيش معه تجاربه القاسية التى صقلت نفسه ، وأرهفت إحساسه ، وأبرزت فيه الإنسان الكريم ، لأنه كلما

علا جبل الشقاء ، الذى يتسلقه الإنسان صفت فطرته ، وكملت إنسانيته .
وهذا ماحدث لشاعرنا الملهم ! ..

* * *

لقد مر الشاعر بظروف قاهرة ، كانت حرباً على روحه ، فهو لم يخلق للتجارة وما فيها من ضروب الختل والخداع ، واضطر أن يعاشر قوماً ، عشرتهم تسقم الروح :

أعاشر من لو عاشر القرد بعضهم
لما رد عن دروين قبر مقبب
وأنصت مضطراً إلى كل أبله
كأنى بأسرار البلاهة معجب ! ...

* * *

لاأرانى أقول جديداً إذا قلت : إن لفرحات وثبات خيال رائعة كقوله فى مريضة عزيزة :

خذوا نصف روحى واجعلوه بجسمها
عسى أن نعيش العمر روحاً بجسمين !
وأجروا قليلا من دمى فى عروقها
وإن تطلبوا نور الحياة فمن عينى ! ...

* * *

فتحية لشاعرنا المبدع إلياس فرحات، وتحية لديوانه الجديد «مطلع الشتاء» ؟

روكس بن زائد العزيزى — عمان

شاعر من عبقر

— ١ —

يقول شاعرنا المهجرى الكبير إلياس فرحات :

يقولون : عمن أخذت القريض ... ومن تعلمت نظم الدرر
وأين درست العروض وكيف ... تلقفت هذا البيان الأغر
وما كنت يوما بطالب علم ... فانا عرفناك منذ الصغر
فقلت : أخذت القريض صبيا ... عن الطير وهى تغنى السحر
وعن خطرات عليل النسيم ... يمر فيشفى عليل البشر
وعن ضحكات مياه الجدا ... ول فوق الجلامد تحت الشجر
وعن زفرات المحب الأديب ... يزاحمه المؤسر المحتقر
وعن نظرات الحسان اللواتى ... يكدن يغلغلنها فى الحجر
وعن عبرات الحزانى الضعاف ... ففى عبرات الحزانى عبر
كذاك تعلمت نظم اللآلى ... لفرط الغُرام وطول السهر
فانى سهرت كثيراً وكنت ... إلى النيرات أطيل النظر
وإن الكواكب كانت تغيب ... وتبقى بقلبى جليل الأثر
فهذى القصائد منها السماك ... ومنها الثريا ومنها القمر
لأن كنت لم أدخل المدرسات ... صغيراً ولا بعد هذا الكبر

فذا الكون جامعة الجامعات   وذا الدهر أستاذها المعتبر
فمن يحى يوما ولا يستفيد   أعمى البصيرة أعمى البصر

وهذه القصيدة « منابع الشعر » تفسر لنا كل مجهول فى حياة فرحات ، وكل خفى من أسرار فنه وشاعريته .

وأول شىء نعرفه منها أن الشاعر فرحات ليس صورة لغيره من الشعراء ، وليس فنه تقليدا لشاعرية أخرى . إنه عبقرية كاملة تجلت فى هذا الملهم الشاعر ، وظهرت فى فنه الأخاذ الجليل الباهر . وكأنه خيوط من ضوء القمر ، أو نفحة من نسيم السحر . ومن تمام شخصية الشاعر هذه الذاتية الفنية ، التى تأبى التقاليد . وتسعى فى مجالات التجديد . وترى الشعر طبعا لا صنعة ، وروحا ناطقا لا صورا موشاة بحلى الأسلوب . وبدائع الزينة . . وهذه الذاتية أوضح ماتكون عند فرحات الذى يخاطب بشعره الجماد فيتحرك ، والحجر فيهتز ويطرب . . وتتضح هذه الذاتية فى موسيقى فرحات الجميلة ، وفى بساطة تعبيره وسلاسته . وفى صدقه فى الأداء والتصوير ، وفى تمثيل شعره لتجاربه الدفينة فى أعماق نفسه .

والشاعر هنا يؤكد أنه لم يأخذ الشعر تقليدا ولا تعلما ، ولا تلمذة على شعراء آخرين . . إنما أخذه عن أستاذه الكون ، وعن ملهمته الطبيعة ، وعن مدرسته الحياة . . وهو هنا ينقل موضوع الشعر من ميدان النظرة المدرسية المحدودة إلى مجال الحياة الواسع الممتد الشامل . . وهو بهذا أحد الملهمين الرواد من شعرائنا المعاصرين الذين أحدثوا ثورة فى الشعر المعاصر تعد من أخطر ثورات التجديد فيه ، وتعد كذلك فاصلا

كبيراً بين مدرستين فى الشعر العربى الحديث : مدرسة المقلدين الذين يحسبون الشعر طرازا فنيا مصنوعا ، ومدرسة المجددين الذين اتسعت نظرتهم إلى الشعر اتساعها إلى الحياة فى القرن العشرين بما احتوت عليه من مظاهر ومشاهد وثورات ، والذين عبروا بالشعر إلى المجالات الإنسانية الكبيرة حتى أصبح موضوعا لكل حدث ، ومتناولا لكل تجربة ، وتعبيرا عن كل صورة .

وثانى خاصية لفرحات ، أن شعره ليس فيه من المناسبات الخاصة إلا النزر اليسير ، ولم ينظم فرحات فى المناسبات العامة إلا إذا هزته هزاً عنيفا ، وانفعلت بها نفسه انفعالا قويا ... إنه يعبر بشعره عن نفسه وانفعالاته ومشاعره وتجاربه ، فهو لا يلهو بشعره ، ولا يتخذه حرفة أو تسلية أو متعة مادية ، بل قد عاش ينسج الشعر ويوشيه بآلامه ، وينسجه من خيوط أمانيه ، ويصوغه من ذات عواطفه ، ويضمنه تجاربه الكثيرة العميقة فى الحياة ، ومن ثم كثرت الحكم والأمثال فى شعره كثرة ملحوظة ، حتى لنصيب إن سميناه بذلك «متنبى المهجر» ... ومع مافى شعره من تهذيب وتجويد ، حتى إنه أحرق بعد الحرب العالمية الأولى كل مانظمه من شعر قبلها لعدم رضائه الكامل عنه . . إلا أن هذا التهذيب لم يجعله شاعرا مصنعا ، بل قوى من طبعه ، وصقل من فطرته ، وجلى مواهبه الكامنة ، ونأى به عن التصنيع ، فقد كان تجويده وتهذيبه ليس من الجانب اللفظى الأسلوبى فحسب ، بل كان راجعا قبل كل شىء إلى حرصه على الصدق فى التعبير والتصوير والعاطفة ، وعلى أداء تجربته كاملة بكل ما احتوت عليه من صور ومشاهد وموسيقى ، وألوان وحياة . . وقد استتبع هذا التجويد إيثار فرحات فى شعره لرقة اللحن ،

وبلاغة العبارة وتمكن القافية ورصانة الأداء، وإحكام النسج ... مع أنه هاجر من لبنان وهو ينظم الزجل العامى، ويقرأ الميسور من المكتوب، ويجهل أصول العربية وقواعدها.

وثالث ميزة لشعر فرحات ما احتوى عليه من تحرر فكرى وشمول إنسانى، فجوانبه الإنسانية كثيرة متعددة الألوان، حتى لنراه يبكى لذبول الزهر، وشحوب القمر، ويثور لشتى مناظر الحياة الحزينة ... وقصيدته «الراهبة» مع إعجازها الفنى - جديدة فى روحها الإنسانية الرفيعة، وفى مطلعها يقول الشاعر:

أطلت من الدير عند الضحى ... وفى ناظريها بريق الأسى
فتاة كأن الإله براها ... ليجعلها فتنة للنهى
ولكنها فى صباح الحياة ... علا وجنتها شحوب المسا
تصلى فتحسبها دمية ... من العاج ساجدة للدمى
وتلثم تلك الدمى بخشوع ... فيوشكن يلثمنها من جوى
تحاول نسيان محبوبها ... وزهو الشباب وعز الغنى
وأقسى من الحب كتمانه ... وأنكى من الهجر فقد الرجا

إلى أن يقول:

وفى الليل سارت إلى خدرها ... وفى قلبها مثل نار الغضا
ولما نضت ثوبها لتنام ... تبين من حسنها ما اختفى
فمدت إلى صدرها كفها ... وقد فتح الورد تحت الندى
وقال لها قائل صامت ... وكان الذى قيل رجع الصدى
وأنت تعيشين فى عزلة ... فلا فى السماء ولا فى الثرى
لمن خلق الله هذا الجمال ... ومن يتنشق هذا الشذى

وتبدو هذه النظرة الإنسانية كذلك فى قصيدته فى ميلاد ابنته التى يقول فيها :

أولى فراخ البلبل الغرد هذا جناح أبيك فاعتمدى

هذى الرياض منابت الزهر

تلك البحار مصــادر الدر

ذاك الفضـاء نجومه تجرى

بالله يا بنتى من أيهــا أنت فى أيهــا كنت

ماأنت من هذا التراب ولا تلك المياه وذلك الخلد

بل أنت من روحى ومن كبدى

أما مظاهر التحرر الفكرى فكثيرة فى شعره، فهو من الرواد الذين أسهموا فى حرب الجمود والرجعية والضعف وفقدان الأمل ، وبذروا بذور الإيمان بوحدة العرب ، وبالقومية العربية ، فى صدور جيلنا العربى المعاصر ، حتى نما الغرس ، وطاب الثمر ، وازدهر الروض ، وأتى كفاح الشاعر فى هذا السبيل أكله جنيا شهيا . يقول فرحات يعبر عن إيمان الشباب العربى بالوحدة بين شعوب العرب :

إنا وإن تكن الشآم ديارنا فقلوبنا للعرب بالإجمال

نهوى العراق وروافديه وما على أرض الجزيرة من حصا ورمال

وإذا ذكرت لنا الكنانة خلتنا نروى بسائغ نيلها السلسال

بنا وما زلنا نشاطر أهلها مر الأسى وحلاوة الآمال

ويقول كذلك :

وطني حببتك سيدا ومسودا وحببت أهلك عوسجا وورودا
أبغي لهم رتب العلا ولو انهم تخذوا على جسدى الطريق صعودا
ماذا تفيد العرب ثروة بعضهم مادام حائط مجدهم مهدودا
ماأفقر المتمولين إذا همو كسبوا بخسران البلاد نقودا
لو كان لى نفط الكويت جعلته يمشى على جثث اليهود جنودا

ويقول يخاطب أنصار التفرقة والمذهبية الضيقة ويرد عليهم ويفحمهم :

هذى دمشق وذى بيروت إنهما فى طلعة الوطن المعبود عينان
لسنا نفضل مهما نلق من عنت عينا على أختها ... لسنا بعوران

إلى ما سوى ذلك من قصائده فى القومية العربية ، وفى تعزيز الإيمان بالوحدة الشاملة بين العرب فى كل مكان .

وقصيدته « يارسول الله » مثل من أمثلة تحرره الفكرى ونزعته الإنسانية معا ، ويقول فيها الشاعر :

غمر الأرض بأنوار النبوة كوكب لم تدرك الشمس علوه
لم يكد يلمع حتى أصبحت ترقب الدنيا ومن فيها دنوه
بينما الكون ظلام دامس فتحت فى مكة للنور كوه

ويقول فيها :

إن فى الإسلام للعرب علا إن فى الإسلام للناس أخوه
فادرس الاسلام يا جاهله تلق بطش الله فيه وحنوه

ومن شعره فى تمجيد الإسلام قوله :

سلام على الإسلام أيام مجده طويل عريض يغمر الأرض والسما
بما ضمت فى ظله خير أمة أعدت لنصر الحق سيفا ومرقما

ولإيمانه الوطنى ، وتضحياته الجسيمة طول حياته استجابة لوطنيته ، مثل من أمثلة الإباء والاعتزاز والصلابة التى عرف بها فرحات طول حياته ، حتى رفض المساومة واعتز بعقيدته دون أن يتزحزح عنها ، ومن قصائده الوطنية المشهورة قصيدته « موطنى » المشهورة ، وهى على نمط الموشحات الأندلسية التى شهر بها فرحات ونظم منها كثيرا من القصائد ، ويقول فى هذه القصيدة :

نازح أقعده وجد مقيم فى الحشا بين خمود واتقاد
كلما افتر له البدر الوسيم عضه الحزن بأنياب حـــداد
يذكر العهد القديم فينادى
أين جنات النعيم من بلادى
زانها المبدع بالفن الرفيع منصفا بين الروابى والبطاح
ملقيا من نسج أبكار الربيع فوق أكناف الربى أبهى وشاح
حبذا راعى القطيع فى المراح
ينشد اللحن البديع للصباح
موطنى يمتد من بحر المياه ممعنا شرقاً إلى بحر الرمال
بين طوروس وبين التيه تاه بجمال فائق حد الجمــــال
ذكره يغرى فتاه بالمعالى
أنا لا أرضى سواه فهو مالى

— ٢ —

أما حياة فرحات فهى قطعة من الكفاح والنضال . فقد كافح ابن « كفر شيما » المولود فى لبنان عام ١٨٩٣ الفقر طفلا صغيرا ، فترك المدرسة وهو فى العاشرة من عمره ليعمل سبع سنين متواليات فى الحرف الصغيرة ، ثم هاجر إلى البرازيل عام ١٩١٠ ، وكان قد سبقه إليها أخواه سعد ووديع ، وحل رحله فى أرض المهجر فى السابع والعشرين من سبتمبر من العام نفسه ، ولحق به إخوته كريم وسليم وأخته غنم ، وبقى فى لبنان والده وشقيقاه الصغيران سعيد وجرجس وإخوته زينة ووديعة ونظيرة .

وتنقل فى البرازيل ، وعمل فى كل الحرف ولاقى كل الأهوال وعاش فى الغابات والأكواخ ، ولقى من الفقر فى مغتربه ما أذكى فيه روح الشاعرية . وتمثل حياته فى المهجر قصيدته الرائعة « حياة مشقات » ، وقد نظمها بعد الحرب العالمية الأولى بسنوات ، وذلك عام ١٩٢٣ ويقول فيها :

أغرب خلف الرزق وهو مشرق ... وأقسم لو شرقت كان يغرب
لئن غردت للشاعرين بلابل ... فان غراب البين حولى ينعب
أقول لنفسى كلما عضها الأسى ... فـآلمها : صبراً ففى الصبر مكسب
لئن كان صعبا حملك الهم والأذى ... فحملك من الناس لاشك أصعب
فلولا إباء مازج الطبع لم يكن ... لمثلى مجىء فى البرارى ومذهب

وفى قصيدته « بين البر والبحر » كذلك صورة لحياة فرحات وكفاحه وآلامه ... وأدب فرحات كله نبع من بيئة المهجر فقد أحرق

كل قاله من زجل وشعر قبل عام ١٩٢٠ ، وصدرت رباعيات فرحات عام ١٩٣٢ وقدم لها جورج حسون، واشتغل بالصحافة فى عدة صحف ، واشترك مع توفيق ضعون فى إصدار مجلة « الجديد » فى سان باولو عام ١٩١٩ ، ثم اشترك فى تحرير « المقرعة » عربيا وطنيا حراً ثائراً ، وكان ينشر شعره فى صحيفة « أبى الهول » وجريدة « الأفكار » .

وفى عام ١٩٢١ تزوج الآنسة جوليا بنت بشارة جبران ... وقصيدة « خصلة الشعر » كانت من أشهر قصائده فى مرحلة حياته الأولى ، واحتلت منزلة عالية بين أشهر القصائد فى الشعر المعاصر ، وطبع ديوان فرحات أخيرا فى سان باولو عام ١٩٥٤ مشتملا على (الرباعيات ، الربيع ، الصيف ، الخريف) ، ولفرحات كتاب « أحلام الراعى » ، وقد ظهر عام ١٩٥٣ وهو نقد اجتماعى لاذع . وظهر له فى دمشق كتاب « قال الراوى » وديوان « فواكه رجعية » وفى بيروت كتاب « عودة الغائب » .

— ٣ —

هذا هو فرحات . شاعر من عبقر . تتمثل حياته وعبقريته فى شعره . وفى دعوته للتجديد . التجديد فى الصور والتعابير والمعانى والموسيقى . التجديد الذى ينطوى عليه مثل قوله من قصيدته « السكرة الخالدة » .

فكم صوروا المقل الساحرات   فهل صوروا سحر تلك المقل
وكم صوروا قبل العاشقين   فهل صوروا طعم تلك القبل

وهذا هو فرحات المؤمن بالعروبة وبالعرب كما يصوره لنا مثل قوله :

العرب واقفة ياشمس فانطفئى والعرب زاحفة ياأرض فاشتعلى

والداعى إلى القومية العربية التى يصورها مثل قوله :

ما الشام ما لبنان ما حوران ما عمان والقدس الشريف الخالد ؟
هذى الدويلات المبعثرة القوى عهد يقوم بهن بيت واحد
قسما بأمة يعرب وبتربة فيها أبو الجمرات يعرب خالد
لولا مكائد بعضنا للبعض لم تنجح لأعداء الجميع مكائد
إن التعصب للمذاهب شر ما أبقى لأمتنا الزمان البائد

وهذا هو فرحات الفنان الذى يتمثل فنه مشرقا باهراً فى مثل قوله:

فر عصفور شبابى من يديا تاركا فى مهجتى جمراً ذكيا
طالما أوحى فغنيت على مسمع الليل نشيداً عبقريا
كان إن أطلقته فى جنة يلثم الزهر ويرتد إليا

وهذا هو فرحات الفيلسوف الساخر الذى تتمثل لنا سخريته فى مثل قوله :

ولما رأيت الغنى الغبى يفوز على الفيلسوف الفقير
تنهدت حزنا ورحت أقول مخاطبا الله بارى الشعوب :
إلهى لماذا خلقت العقول بعصر تفكر فيه الجيوب

وفى مثل قوله :

ترى هل أعيش بقول : أجدت ويالك من شاعر مفلق
خلقت شقيا وعشت شقيا وأحسب أنى أموت شقى

والذى يتمثل لنا إباؤه فى مثل قصيدته « لولا ضميرى » .

وإذا كان لفرحات صورة غير صورة حسه وبدنه ، فلتكن هى صورة ملاك ساحر أو شاعر فر من عبقر ، فعزف للناس أروع ما سمعوه من ألحان ، وأبدع ماطربوا له من موسيقى . صورة هزار يحلق فى السماء ، ولا يبغى الهبوط إلى الأرض ، ولا يرى الناس منه إلا صوته العبقرى ولحنه العلوى .

إن فرحات فى قلب الشعب العربى المقدر لكفاحه وعبقريته ، ولفرحات المجد والعزة . ولأدبه وفنه البقاء والخلود ؟

محمد عبد المنعم خفاجى

مطلع الشتاء

مشهد

لا تبدل السنّ أخلاقي ولا سنني
خيط القماط كخيط الثوب والكفنِ

إني مدى العمر لا زهوٌ ولا ضعةٌ
لا في القصور نما عودي ولا الدمنِ

حسبي وحسبُ المعالي أن يقال فتىً
نشءُ السفوح تخطّاها إلى القننِ

لا أضرب الطبلَ حول اسمي مداورةً
كي أوهمَ الناسَ أني شاعرُ الزمنِ

ولستُ في السرّ آتي - والعلى صفتي -
أمراً يجرُّ عليَّ العارَ في العلنِ

إذا تأملتَ شعري رحتَ مكتشفاً
فيه ملامحَ من روحي ومن بدني

فيه وفيَّ عيوبٌ لستُ أُنكرها

إن القبيح مع الإخلاص كالحسنِ

قل للصدّق أقوالاً يزخرفها

من ليس يصدق في دين ولا وطنِ

مهلاً فانَّ يدَ الأيام طاويةٌ

ماينشر البُطْلُ من خزٍّ على العفنِ

لابدَّ تطلع شمس الحقِّ لاهبةً

مشبوبةً فيصاب البُطْلُ بالزَّعنِ

يمضي الكذوبُ ويمضي كذبُهُ معهُ

حتى كأنَّ الذي قد كان لم يكنِ

عيد الجلاء

عيدُ الجلاء لكلِّ عيدٍ عيدُ
تجديدُهُ لجهادنا تجديدُ

طربت صوارمُ يعربٍ لقدومِهِ
وتغرَّدت فصليلها تغريدُ

ذكرت وقائعَ في الحواضر ردَّدَت
أصداءهنَّ مع الرياحُ البيدُ

لولا طلوعُ البيض من أغمادها
كالزُّهر ما انجلت الليالي السود

لولا المطارقُ ما التوت وتحطَّمت
للظالمين سلاسلٌ وقيودُ

أزفَ الحسابُ فكلُّ قولٍ صادرٍ

عنهم وعن أبواقهم مَرْدُودُ

أزفَ الحسابُ فلا مقالَ لقائلٍ

إلا الذى سيقوله البارودُ

أزفَ الحسابُ فلا نسيئةَ بعدما

كذبت مواثقُ جمّةٌ ووعودُ

الصبرُ محمودٌ إذا احترِم الحمى

فاذا استُبيحَ فغيرُهُ المحمودُ

والحقُّ تفقِده السياسةُ ، والظبى

تلقاه ، فهو الضائعُ الموجودُ

* * *

يا أيها العيدُ السعيدُ تحيةً

من شاعرٍ يلقاك وهو سعيدُ

متفائلٍ يهوى العروبةَ قلبُهُ

ورجاؤه برجالها معقودُ

فِى صدره منها عواصفُ كلما

زادت عليها الحادثاتُ تزيدُ

هذِى بروقُ المجد لاح وميضها

فتهيأوا ، ستلى البروقَ رعودُ

والسيلُ مندفعٌ ستسقط دونهُ

جدرٌ بُنِينَ لصدّهِ وسدودُ

ووليمةُ النصر المطلّ من الذرى

تحت السيوف خوانها ممدودُ

وثمارُهُ الحمراءُ ليس يذوقها

إلاّ جرِىءُ الأصفرَين شديدُ

وَلَنحنُ أَولى أن يكونَ نصيبنا

حلواؤها والكأسُ والعنقودُ

فسنأخذ الحقَّ السليبَ مضاعفاً

والسيفُ قاضٍ والرقابُ شهودُ

وستعلم الدنيا ويعلم أهلها
كيف الأسودُ عن العرين تذودُ
سيرى العدوُّ الكونَ أصبح غيرَهُ
فالأرض نارٌ والسماءُ حديدُ
والجوُّ بينهما تكاد طيورُهُ
تمشيه فيه من الغبار صعيدُ

* * *

كن شاهداً يا عيدُ أنَّ دماءنا
لبلادنا ، كن شاهداً يا عيدُ
قسماً بأبطال العروبة إننا
لسنا عن النهج السويِّ نحيدُ
قسماً بهم إنَّ العروبةَ ديننا
ما همَّنا التثليث والتوحيدُ
قسماً بهم إنَّ « اللواء » وأختَهُ (١)
منا وتينٌ نابضٌ ووريدُ

(١) يعني باللواء وأخته لواء اسكندرونة وفلسطين .

قسماً بهم إنَّ الجزائرَ عندنا
كالشام نهتف باسمها ونُشيدُ
فمن المضيق إلى الخليج يضمّنا
وطنٌ على رغم العداة وحيدُ
ستزول ألوانُ المناطق كلُّها
وحواجزٌ منصوبةٌ وحدودُ
ومع الدخيل المستبدّ جماعةٌ
منا تتيه بجهلها وتسودُ
تحيا بعصر النور باكيةً على
عصرٍ أذلَّ النوقَ فيه ثمودُ
من لا يُبيد عمايةً في قلبهِ
وسخافةً في رأسه سيَبيدُ

* * *

مابالُ من حُسبوا كباراً أصبحوا
وجديدهم لعتيقهم ترديدُ

ما بالهم يتقيأون حديثهم
عنا كما يتقيأ الممعود

يتآمرون على الشعوب كأنها
نَعَمٌ موسَّمة لهم وعبيدُ

يعِدون أو يتوعدون وشأنها
عن شأنهم في الحالتين بعيد

لا وعدهم يحيي لها أملاً ولا
يقضِي على أملٍ لها تهديدُ

هيهات فالمسلوب منه يريد ما
غير الذى يحمى اللصوص يريدُ

وضَحَ الخداعُ، وبان، فالتزمير والتـ
ـطبيل لاستعمارهم تمهيدُ

نزلت بنا النكباتُ من تدبيرهم
العار والتقتيل والتشريدُ

غُصبت منازلنا وكم من زاعمٍ

في الناس أنّ الغاصبين يهود

هذي كلابُ الصيد كيف نذمُّها

ونُجلُّ صياداً بهن يصيدُ ؟!

مهزومةٌ عجفاءُ أغراها بنا

طمعُ الوليّ وحظها المنكودُ

* * *

الموتُ عاقبةُ الغرور فبشروا

صهيونَ أنَّ بقاءها محدودُ

قذفت إلى نار الجحيم بنفسها

إنَّ الأشاعب للجحيم وقودُ

ستظلّ تمسك قلبها مادام في

أرض الكنانة قادةٌ وجنودُ

سيظل طيفُ الموت نصبَ عيونها

ما ظلّ يُذكر في الشآم شهيدُ

ستضيعُ في لُجِّ العواصف جملةً

ويضيع في تدعيمها المجهودُ

ستموت حاملةً صليب ذنوبها

والحبلُ حول خناقها مشدودُ

لا يأسَ في عيد الجلاء لمؤمنٍ

وكما أتت آلامنا ستعودُ !

١٧ نيسان ١٩٥٦

مرحى !!

مرحى قساورةَ العراقِ
فاز الأسير بالانعتاقِ
مرحى ! فقد كنتم مع ال
قدَر المتاح على اتفاقِ
نزل الردى بالظالمين
فعانقوه بلا اشتياقِ
ومضوا شتيمتنا تشيـ
ـعهم ، ولعنتنا تلاقى
حكّام شرٍّ قائمٍ أبداً على قدم وساق
نهبوا البلاد وفرّقوا ماللعباد على الرفاقِ
لم يتركوا للشعب إلاّ كلَّ مذموم المذاقِ
لهم العراق برافدَيه وما له غير الزُّقاق

لهم النياق الفارهات وما له وَبَرُ النياقِ
لهم الصبيب مِن الثرى وله الصبيب من المآقي
من مالهِ لهم القصور ومن كواهله المراقي
حتى إذا ما أوشكت أن تبلغ الروحُ التراقي
غَسَلَ الأباةُ الثائرون طريقهم بـدم مراقِ

* * *

مرحى ! لقد ذهب الطغاة بجرمهم والشعب باقِ
أسكرتم الدنيا بكأس من بطولتكم دهاقِ
وبوثبةٍ كادت تهزُّ قواعدَ السبع الطباقِ
غصَّ الألى طبخوا لكم صابَ المذلة بالزعاقِ
وأُصيب من نشروا الدخانَ ليهلكوكم باختناقِ
كثرت جرائمهم فصاح بهم غراب البين : غاقِ !
فجرَوا كما تجرى نفاياتُ الشوارع في السواقي
وتحرَّرَ البلدُ الحبيبُ من الخيانة والنفاقِ

* * *

مرحى ! فانَّ العُربَ قد عادت إلى عهد الوفاقِ

كانت تعرقلها الخصومة والحوادثُ في سباق

فُرَصُ الطموح مضت معاظمهنَّ فاغتَنموا البواقي

لاقولَ بعد اليوم إلاّ للمحدَّبة الرقاقِ

فُتحَ الطريقُ أمامكم فتقدَّموا والله واقِ !

١٥ تموز ١٩٥٨

نحن من يعرب

فى البوادى زئيرنا والحواضر

للمعالى دويه والمفاخر

إنه في عمان ، فى الشام ، فى البحـ

رين ، فى مصر ، مثله فى الجزائر

حيثما مدت المطامع فى الشر

ق خراطيمها مددنا البواتر

ومنحنا العدى مقابر فى الأر

ض وفى الجو ، يالها من مقابر

كل قبر يكون ثبتاً سواها

فهى ماسافر الضوارى تسافر

فى بطون الضباع تجمع فى البيد

وتنقض فى بطون الكواسر

نضرب الضربةَ التي تصرع الغد
رَ وتلقي درساً على كلِّ غادرْ
وتزيل الغرورَ ممن يرى في
مكرمات الشعوب بعضَ المتاجرْ
نحن من يعربٍ ويعربُ تاجٌ
صاغه الله من ثمين الجواهرْ
نحن منا محمدٌ وعليٌّ
نحن منا شكريٍ وعبد الناصرْ

شباط ١٩٥٨

بريطانيا

برطانيا ؟ أسمعت وعظ الدهر أم لم تسمعى
وقع الذى ما كان عندكَ قط بالمتوقّعِ
من رحت تجهدين فى تفزيعه لم يفزعِ
كَبُرَ الصبىّ فصار يضحك من حديث البعبع

* * *

جئناك بالحــق الصريح فجئتنا بالمدفعِ
قلنــا القناة لأهلها لا للغريب المدّعى
زمنُ النهاب مضى فصار عليك أن تتورّعى
ما للأبالس فى ثرى الفردوس مغرز إصبع
فركبتِ رأسكِ لا تعين وكان حقّك أن تعى
ومضيتِ يدفعك الغرور بموجه المتدفعِ
سكرى بقرصنة الألى نهبوا الأنام لتشبعى

وبنوا لك المجدَ المطلَّ على الجهات الأربعِ
مجدَ اللصوص المولمين على قبور الجوعِ !

* * *

برطانيا حيِّ جمالاً — من بعيدٍ — واخشعي
ما شقَّ دُمَّلَ كبريائك غيرُ هذا المبضعِ !

الأفق الجميل ١٩٥٦

ذئاب

أخذت تركيا فى الشمال وإسرائيل فى الجنوب تحشدان الجيوش تحرشاً بسوريا وتهديداً لها بتحريض من الدول الغربية . فقال الشاعر :

ذئابٌ فى الشمال وفى الجنوبِ
تُهدّد بالمخالب والنيوبِ

إذا سكنتْ يحرّكها أكولٌ
لأرزاق الشعوب وللشعوبِ

هو الذئب الذى يعوى انتفاخاً
ويوحِى بالعواء لكل ذيبِ

ويدفع باللصوص إلى المغانى
ويحمِى السارقين من الرقيبِ

جهولٌ يحسب الدولار يكفِى
لتوجيه الضمائر والقلوبِ

ومن تبتعه بالدولار ينقص

عن الدولار قدراً فِي الحروبِ

ومن ينزل إلى الميدان قسراً

يكنْ للفرّ أولَ مستجيبِ

ومن هانت كرامة عليه

رأى العلياءَ شائكةَ الدروبِ

ولا يحتك بالأجرام رأسٌ

يخاف القطعَ فِي اليوم العصيبِ

وجيشٌ يشترى بالمال ظهراً

يبيع المشترِي قبل الغروبِ

* * *

سلامٌ أرضَ سوريا يحاكى

نشيدَ الحبّ فى ثغر الحبيبِ

ويجتاز الجنائنَ مزهراتٍ

فيسرِى طيبه فِي كلّ طيب

وَقَاكِ التركَ سيفٌ يعربيٌّ

أعدته العروبة للخطوبِ

لهُ فِى رأس من لم يقضِ منهم

بهِ مالا يَعدُّ من الندوب

وما التركىُّ إلاّ [illegible]جسٍ

يغطى اللؤمَ بالثوب القشيبِ

خذوا تاريخهم نقداً ونخلاً

فلن تلقوا بهِ غيرَ العيوبِ

يشدُّ بهم إلى طورانَ عرقٌ

عريقٌ بالجرائم والذنوب

لقد تنسى العروبةُ كلَّ شرٍّ

سوى شرٍّ بصحبتهم مشوبِ

غزوها وهِى بالأمجاد سكرى

فكانوا السوسَ فِى العود الصليبِ

مماليكٌ غدوا فيها ملوكاً

فحلَّ القحطُ فِى السهل الخصيبِ

وشُلَّ الفكر واسترخت قواهُ
وقد عزَّ الدواء على الطبيبِ
فلو أن العروبةَ من جبالٍ
لذرَّتها المظالم بالهبوبِ
ولكنَّ العروبةَ من شعاعٍ
يشدُّ الأرضَ بالفلك الرحيبِ

* * *

وما شأن اليهود وكيف تعلو
مع التزآر أصواتُ النعيب !
وهل صار اليهود اليوم ناساً ؟!
إذاً فالناس فِي وضعٍ مَعيب
أإسرائيلُ بعد الموت يحيا ؟
لهذِي آيةُ العصر العجيب !
ربيبُ المجرمين له عليهم
وإن هزّوا العصا دلُّ الربيبِ

وماهزّوا العصا إلاّ رياءً
ولا في فعلهم غير المريبِ

✡ ✡ ✡

شآمَ المجدِ أضحكتِ المعالى
وأبكت كلَّ طماعٍ غريبِ
أبت مشروعَ (زنهورٍ) وقالت
له بلسان شاعرها اللبيبِ :
عليك بمن وراءك من حميرٍ
فما خُلِقَ الضراغمُ للركوب !
وما لذئابكم مهما ادعيتم
لها غيرُ الهزيمة من نصيبِ

١٩٥٧

أمجاد مصر

وأمم الرئيس جمال عبد الناصر شركة قناة السويس فراحت الدول الغربية تتهدد وتتوعد وتتحرك الأساطيل وتجيش الجيوش . فظن الشاعر أن حركاتها هذه لن تخرج عن حد التهويش .

فقال :

أفى العروبة ياجمالُ على القلوب هواك فرضُ ؟

لك فى الدنا رفعٌ وللمتحاملين عليك خفضُ

شتانَ بينكمو فهم زبد الحياة وأنت محضُ

وكأنما أنت السماء وهم على الغبراء أرضُ

وكأنَّ ذكركَ فى رحاب الكون نافجة تفضُّ

أمجادُ مصر أتتكَ يزحم بعضهنَّ إليك بعضُ

فاسهر لهن فما لمقلة حارس الأوطان غمض

وطنِ الكنانة للعروبة إنها شرف وعرض

إخواننا للقوم شقشقة وعربدة وركض

لا تأبهوا لضجيجهم ما كل نباحٍ يعض

* * *

لكنهم عضوا ! إذ حاولوا الهجوم على القناة فعادوا عنها مدحورين مذمومين !

فقال الشاعر :

هرّت كلابُ الغرب تشكو الويلَ مما انتابها

عضّت حذاءكَ ياجمال فحطّمتْ أنيابها !

أبت الكنانة أن يدوس الغادرون ترابها

فغدت جحيماً عندما اقتحموا عليها بابها

ومشت أسود النيل للهيجاء تحمى غابها

ودوىٌّ زأرتها يشقّ عن السماء حجابها

ويهزّ فى دنيا العروبة شيبها وشبابها

وكأنما خمر المنية أسكرت شرابها

فتدافعوا يتناولون بلذّةٍ أكوابها

الله أكبر ! فالعروبة جرّدت قرضابها

وستسمع الدنيا على غدر اللئام جوابها

إيليا أبو ماضي

قيلت في رثاء الشاعر الموهوب إيليا أبي ماضي في حفلة تذكارية أقامتها له جالية سان باولو .

ما للدوار برأسي اليوم دوّارُ

حتى كأني أرى الجدرانَ تنهارُ

وما الذي في فؤادي يستبدُّ بهِ

ثلجٌ تذوّبه الأحزانُ أم نارُ

حمّى تغلغلُ في جسمي فيطفئها

سيلٌ من العرَق المثلوج مدرارُ

للموت في الناس فعلٌ ليس تفعلهُ

في الغاب نارٌ ولا في الرمل إعصارُ

لما نعيتَ ، أبا ماضي ، درت قدمي

أنَّ الثرى تحتها كالبحر موّارُ

وأنها اليوم فى حالٍ تحول غداً
إلى سواها وأنَّ العمرَ أدوارُ

وأننى صرتُ فى دَورٍ تموت بهِ
منى عِذابٌ وآمالٌ وأوطارُ

وتيأس النفسُ فيه حين يلمسها
من الشباب الذى قد مرَّ تذكارُ

فرحتُ أجمعُ أيامى وأطرحها
كأنَّ موتكَ لى بالموت إنذارُ

وأستعدُّ لآتٍ فى حقيبتهِ
من ذلك العالم المجهول أسرارُ

يا عالىَ الروح والأسلوب ، ياجبلاً
فى رأسه لصقور الفكر أوكارُ

ويا هزاراً له فى الروض منزلةٌ
تزداد ما ازداد للحساد إنكارُ

ويا فماً ذهبياً من بلاغته
لم يخلُ من حسدٍ فى الروض منقارُ
لما سكتّ وظلّ الهذرُ مرتفعاً
كدنا نصدّق أن الموت يختارُ
لولا جبينك فى الدنيا وأجنحةٌ
من نوعه ما نما فى أرضها الغارُ
هذى (الجداول) فيها الماءُ مندفقٌ
وفى (الخمائل) أطيارٌ وأزهارُ
وكلها شاهدٌ عدلٌ يؤيدهُ
إعجابُ يعربَ، والاعجابُ مسبارُ
كأنَّ شعركَ فى أسماع أمّتنا
عودٌ وناىٌ وقانونٌ ومزمارُ
يظنُّ من كان - إذ تُروى روائعهُ -
أصمّ أعمى مشى فى الحفل عطارُ

أو أنهم سكبوا فى حلقه نقطاً
من بنت كرمٍ لها فى الخلد معصارُ

وَيحَ المحافل فى نيويورك كيف غدت
صفر المنابر ما فى الدار ديّارُ

قيثارةُ الشعر أمست هيكلاً نخراً
لم يبق فيها ولا فى العود أوتارُ

تقطّعت فى يد الأيام فانقطعت
عن التجاوب أنغامٌ وأفكارُ

ضمّت إلى الضاد من ألحانها قطعاً
مثلَ الرياض سقاها الطلّ أيّارُ

قلبُ العروبة منها راقصٌ طرباً
حيناً وباكٍ لأنّ الموتَ غدارُ

أودى بمن كان يجلوها فتحسدها
جاراتها اللاء محسودٌ بها الجارُ

ربُّ البلاغة من آيات مرقمه
تحت المضارب والأبراج آثارُ

في كلِّ مجتمعٍ عالٍ تدار له
قبل الكؤوس مقالاتٌ وأشعارُ

لا يقدر الموتُ أن يبتزَّ آيتَهُ
فكيف يبتزُّها شنآنُ ثرثارُ

من يطلب المجدَ في تشويه متشحٍ
بالمجد كان له التشويه والعارُ

حلّى الحياةَ أبو ماضي وزيّنها
لليائسين فساغت وهي أكدارُ

غنّى لهم فأراهم أنَّ عوسجها
وردٌ ، ودرهمها المغشوشَ دينارُ

وأنَّ في الوتر المفتول مملكةً
فيها صحارى وجنّاتٌ وأنهارُ

شعرٌ يهزُّ قلوبَ الناس من طربٍ
لأنه من صميم القلب فوّارُ
شعرٌ هو السحرُ فيه الجنُّ عازفةٌ
وفيه عن عالمِ الأشباح أخبارُ
شعرٌ هو الدين أو كالدين ينشرُهُ
مهاجرون ذوو حزمٍ، وأنصارُ
منا السلام أبا ماضى على جدثٍ
إنّا لساكنه بالروح زوّارُ
تفنى القرون وشعرٌ أنت قائلهُ
يبقى ويبقى له فى الكون تكرارُ

كانون الأول ١٩٥٧

مدحة غراب (١)

أرغمَ الدهرُ لِي بموتك أنفا
وأرتني الأيامُ جوراً وعسفا

والليالِي الثقال أثقلن حملي
حينما كنت آملاً أن يخفّا

أيها الراحل الحبيب ترفّقْ
بقلوبٍ ليست من الوجد تشفى

كلُّ روضٍ قد صار بعدكَ قفراً
كلُّ قصرٍ قد صار بعدك كهفا

(ربّةُ الحكمة) التي نمتَ عنها
نومةَ الدهر جفنها ليس يغفى

---

(١) مدحة غراب . حبيب الجميع . وعروس المحافل. وكوكب المنابر وأصدق صديق للناظم ، توفى فى سان باولو فجأة ، وهو فى عنفوان القوة والنشاط ، فى أواخر ١٩٥٨ .

فقدت إلفها المفدّى الذى لم
تعرف الغانياتُ شرواه إلفا
كان أندى من الندى ساعة الفجر
وأصفى من الرحيق المصفّى

* * *

زال ممدوح فالمنابر ولهى
زال ممدوح فالمحافل عجفى
زال خدنى الوفىُّ من كنت ألقى
عنده فِى الحوادث السود عطفا
عاف دنياه معرضاً عن هواها
مغمضاً عن شؤونها الكُثْر طرفا
تاركاً للأسى ولليتم فيها
ظبيةً ترقب الدرارى وخشفا
غاب عن عالم الشهادة فوراً
مثلما يظهر الشهاب ويخفى

لم يصافح أخاً ولم يلثم ابناً
لا حكى كلمةً وما خطَّ حرفا !

* * *

إنَّ فِي الموت والحياة لسرًّا
أعجز الأنبياء شرحاً ووصفا
كلنا يشرب المنيّةَ ماعاش
فهذا عبًّا وذلكَ رشفا
فاذا تعتعته نفّض مما
بهرجته الحياةُ قلباً وكفّا
ومضى تاركا لمن ظلَّ يحسو
كأسهُ حسرةً وغمًّا ولهفا
كيف نأتِي وكيف نمضي وما الغا
ية من شمعةٍ تُضاءُ وتطفا ؟ !!

* * *

قال قومٌ : أكثرتَ نظم المراثى
أتراهم يبغون شدواً وعزفا ؟ !

طال عمرى فطال حزنى على من
قصفتهم عواصفُ الموت قصفا

لن تجفَّ الدموع مادام جمر الـ
ـبين يكوى القلوب . لا لن تجفّا

إن قلبَ العميد عمّا تعمّى
فيه من لوعةٍ إذا رقَّ شفّا

ضرباتُ الردى توالت علينا
قاصمات ، قولوا لها أن تكفّا

أين بدرى . وأين حسنى وصبرى[1] ؟
أين حطّوا المرساةَ في أىّ مرفا ؟

(١) بدرى وحسنى وصبرى إخوان مدحة ماتوا كلهم فى عنفوان الشباب .

وقفـــوا كلهم وممدوح فيهم

ثم ساروا في موكب الموت صفّا

واحداً إثر واحدٍ بانتظامٍ

ناسفين القلوبَ بالحزن نسفا

لهف قلبي على المصابيح تخبو

وعلى الراسيات تذرى وتُسفى

لهف قلبي على الذى جدّدَ الجر

حَ بقلبي فجدّدَ الجرحُ نزفا

* * *

ياعشيرى الذى فقدتُ بفقـد

يه وفاءً جمّاً وأنساً ولطفا

لاتلمنى على قصورى فلو ذاق

المعرّى ماذقتُ منك لأصفى

أىّ نســرٍ محلقٍ لو دهاه

ما دهانِي — لمّا نعوك — أسفّا

ليس من طائر يطير إذا ما

أمِن الدهر فِي جناحيه نتما

لست أنسى نداكَ يامن سقانى

من ينابيع قلبه الودَّ صرفا

سوف أبكيك ماحييتُ وأستج

لى معانيك كلما الجفن رفّا

وليدنا المحول

أنشدت فى سان باءلو فى حفلة العيد الأول
لمولد الجمهورية العربية المتحدة .

أهلُ الوليد لدى الوليد المحولِ
جاثون بين مكبرٍ ومهلّل
يتأملون جماله وقلوبهم
سكرى تُطلُّ من العيون وتجتلى
شبلُ العروبة مذ أطلَّ تراجعت
زمرُ الثعالب عن عرين المشبل
وأصاب ذؤبانَ السياسة نكبةٌ
بالغاب قبل ظهوره لم تنزلِ
هز البلادَ زئيرهُ فتنبّهت
فيها الشعوب إلى الوجود الأفضلِ

وتعاهدت والحقُّ يسندها ، على
منع اللصوص من اقتحام المنزل
فمضى اللصوص يجرّرُون وراءهم
خزياً لهُ في شرقنا أثرٌ جلى
ويقول واحدهم لآخر خلفَهُ
كيف السبيل لحلّ هذا المشكلِ
إن كان ذا وهو ابنُ عامٍ فعلهُ
فينا فكيف يكون في المستقبلِ ؟
وتكتّلوا وتآمروا ولكلهم
نابٌ تحزّ ومخلبٌ كالمنجلِ
شاؤوا رجوعاً للنهاب فأبصروا
طرقاتهِ مسدودةً بالأنصلِ
ورأوا شعاعَ الحقّ يغمر أمّةً
رفعت جبين وليدها كالمشعلِ

ومشت تعاجز كلَّ طاغٍ كفُّهُ
حمراءُ تخفى النصلَ تحت المخملِ

* * *

يا عيدَنا ، يا عيدَ كلِّ محطِّمٍ
ببلاغة البرهان سيفَ المبطلِ
أقبلتَ والأخلاق مدبرةٌ وقد
أزرى البغاثُ وقاحةً بالأجدل
فجعلتنا بعد الهوان أعزّةً
نرمى بأعيننا الكواكبَ من علِ
ونكيل للجانِى الأثيم بكيلهِ
ونقابل الفعلَ الجميلَ بأجمل
فلينهل الصادون منك ليفثأوا
حرَّ الظماء فأنت أعذبُ منهلِ
وليُقبلِ المتردّدون ليقرأوا
تاريخنا فى وجهك المتهلّل

وليبحثِ المتفلسفون ليدركوا
أنّا نسير على الطريق الأمثلِ
وليخجلِ المتهجمون فطالما
نُكبت أُخوّتنا بمن لم يخجلِ
وليخرسِ المتبجحون فانهم
لم يعملوا مقدار حبة خردل
دعوى بطولتهم ودعوى زهدهم
كذبٌ يُراد به اقتناص الغفّلِ
لو رحتَ تبحث عن عروبة بعضهم
لوجدتها محصورةً في المقولِ
ويكاد هذا البعض يجعل نفسَه
لغروره فوق النبيّ المرسلِ
ويقول إنَّ أباه كانَ أحقّ في
نَيل الخلافة من (معاو) ومن علي !

* * *

يا عيدَ وحدتنا تحيةَ مؤمنٍ
بالوحدة الكبرى التى لم تكملِ

لكنها حتماً ستكمل عندما
لم يبقَ فى ركنٍ لها متقلقلِ

إنّا لنرجو للعراق سلامةً
إنّ العراقَ دعامةٌ للهيكل

إخوانَنا بين الفراتِ ودجلةٍ
شدُّوا يقين الشاعر المتبرزلِ

غِيَرُ الزمان تبدَّلت ورجاؤه
بوفائكم للعُرْب لم يتبدّل

كونوا كما شئتم على أن تجعلوا
حقّ العروبةَ فى المقام الأوّلِ

جاز الفضاءَ هتافنا بحياتكم
يوم الوثوب إلى السماكِ الأعزلِ

وجرت مدامعنا على وجناتنا

فرَحاً بمـــا أحرزتموه وما يلى

ولقد مضى الزمنُ الطويل وأهلكم

يتساءلون متى الغمامةُ تنجلى

أيكافَأون على الذى غرسوا لكم

مما زكت ثمراتهُ بالحنظل ؟ !

أتحوّل الأحقاد نصرَكمو إلى

فشلٍ لأُمتنا وخيبة مأملِ ؟ !

يرضى العروبة أن ترى أبناءها

فى عيدهم كالطير حول الجدولِ

يردُون ماءَ الوحدة الصافى على

نغم النشيد الواحد المتسلسلِ

فيكون يومئذٍ بوحدتنا لها

عيدٌ أغرُّ يطيب فيه الشعر لى !

الدمشقية

أنشدت فى الحفلة الرسمية التى أقامتها وزارة الثقافة والأرشاد القومى ، للنـــاظم فى حديقة نادى الضباط بدمشق ، مساء الرابع من شهر حزيران سنة ١٩٥٩

ريحُ الصَبا مرّت على بردى
وأتت ترشّ على الهجير ندى
فاستقبلتهـــا العينُ ساجيةً
وهفا إليهـــا القلبُ مبتردا
ذَكَرا – وقد نَعِما بيومهما –
يوماً أذاب الروحَ والجسدا
العينُ كاد الدمعُ يغرقها
والقلبُ أوشك أن يموت صدى

والبحرُ دون الأهل مضطربٌ
لهديره بين الضلوع صدى
وكأنمـــا أمواجهُ أُسُدٌ
غضبي تواثب مثلهـا أُسُدا
لو سالمتني لاحتفيتُ بها
ومسحتُ عن أشداقها الزبدا
وسألتها نقلي إلى بـــلدٍ
للحبّ فيه وللجمال مدى
أهلوه في عُسر الزمان لهُ
يسرٌ وفي ليل الخطوب هدى
كانوا لعين الفضل قرّتها
إذ كان غيرهمو لهـا رمدا
نفحوا العروبةَ من شمائلهم
بفصاحةٍ وشجاعةٍ وندى

وبهمّةٍ قعساءَ يورثها
مضمونةً من مات ، من وُلدا
وبموردٍ للجود لو نفدت
فوراً مياه البحر ما نفدا
أفدى إذا عزَّ الفداءُ بنى
بلدٍ له كلُّ البلاد فدى

* * *

وطن العروبةِ آه ياوطنى
لو كنت كالأوطان متحدا
لأفاد منك الشرق مفتخراً
ولحاد عنك الغربُ مرتعدا
ولذاب إسرائيل من جزعٍ
ولضاق يهوهُ بما وعدا ...
ولراح الاستعمار منهزماً
ما دقَّ مسماراً ولا وتدا

ولمات (فصطر دلس) منتحراً

ولضاع جهدُ المقلقين سدى

فاستوفت الدنيا كرامتها

واسترجع الإنسان ما فقدا

* * *

ولقد أقول لمن يجادلني

ويلومني ويلحُّ منتقدا

فكأنه في ما يحاوله

قَينٌ يزيل عن الحسام صدا

هوَ صبٌّ أمريكا ويزعجه

أني أعدُّ الظالمين عدى :

أنا لا أمدُّ يدي إلى بلدٍ

جانٍ يمدُّ إلى الجناة يدا

دَفعَ اللصوصَ إلى منازلنا

ومضى يسوق إليهم المدَدا

لولاه ما تركت صوارمنا
في أرض يعربَ منهمُ أحدا
لكنهُ سيرى نهايتهم
سيرى الذي من زرعهِ حصدا
ولئن أراد بقاءهم أبدا
فبعزمنا سنقرّب الأبدا
لن يرحمَ العربُ الأشاوسُ من
لم يرحموا شيخاً ولا ولدا
فغداً تهبُّ رياحُ نخوتهم
والويلُ للمتصهينين غـــدا !

* * *

ياموطني ! ياموطناً حسدت
أحياؤهُ في الساحـــة الشهدا
في ميسلونَ وقفتَ منفرداً
فحملتَ ثقلَ المجـــد منفردا

وغرست فى الأرض الكريمة ما
قــد طال حتى جاوز الجلَدا
حقداً هوَ البارودُ أوقَدَهُ
عزمُ الشباب الحرِّ فاتقدا
فأطــار أُمّ المنكرات إلى
باريسها وأزال من مَرَدا
فاعجب لها أرضاً مباركةً
تُسقى النجيـع فتُنبتُ الحرَدا
واعجب لثأوٍ تحت بلقعةٍ
منهــا يُعدُّ الجيش والعددا
ويقودُهُ للنصر وهو لهُ
داعٍ فيأتى النصرُ مطَّردا

٥ * *

لاخوانَ يوسفَ هل أقول لكم
إنى اكتشفتُ الغيبَ مجتهدا ؟

لمّا بدت فيكم بطولتُهُ
وعلى جباهكمُ الإباءُ بدا
ورأيتكم تثبون وثبتَهُ
فتحطّمون القيد والزردا
أيقنت ـ والأحداث تُثبتُ لى ـ
أنَّ التقمّصَ صحَّ معتقدا !
والحقُّ إنَّ الشام ما برحتْ
معشوقةً للمجد مذ وُجدا
هى تُنبتُ الأبطال ياسرةً
مثل السحائب تمطر البردا
كم فوق هذى الأرض من بطلٍ
قام الزمان له وما قعدا
وطنيةٌ وحميّةٌ نمتا
فى نفسهِ وترامتا صُعُدا

وَهَبَ العروبةَ كل ما ملكت
يدُهُ وأضنى القلب والكبدا
أفنى الفتوّةَ مسرفاً بهما
وطغت كهولتَهُ فما اقتصدا
وتزيدُهُ الأيامُ تضحيةً
وتزيدُهُ أحداثها جَلَدا

✿ ✿ ✿

حمداً يعمُّ الشامَ من رجلٍ
حرٍ إذا لمح الرضا حَمَدا
أسدت إليّ يداً حكومتها
وأنا ابن من يسدى إلىّ يدا
قد كنتُ أرجو أن أرى وطنى
يقظانَ يرفع للحجى عُمُدا
وبلغتُ ما أرجُو فأسعدنى
أنى وجدتُ الزهرَ قد عقدا

فالشعبُ يغنم عيشه رغـدا
والجيش يحفظ بأسهُ البلدا
والأمنُ بين الناس منتشرٌ
والعدلُ يصلح كلَّ ما فسدا
والخطةُ المثلى قــد انتُهجت
من ليس يرضى فليمت كمدا!

لبنان

عاد الشاعر إلى بلدته كفر شيما بعد أن غاب عنها تسعاً وأربعين سنة فأقام له نادى الأدب والرياضة فى ساحة مدرسة كفرشيما الوطنية مهرجاناً ضخما شهده ألوف . . . وبلغ عدد الذين تكلموا فيه خمسة عشر خطيباً وشاعراً وعندما جاء دوره فى الكلام أنشد :

وكان ذلك فى ٢٣ تموز ١٩٥٩

سالمتْ لِىَ الأقدارُ بعد حرانِ
وأعاضنى مما فقدتُ زمانِى

هذِى ملاعبُ صبوتِى أرتادها
متنصتاً فيها لهمس جنانِى

فِى كلِّ منعطفٍ حديث حداثةٍ
متسلسلٌ منه معينُ معانِ

أشباحُ ماضىَّ البعيد قريبةٌ
منِّى تقابلنِى بكلِّ مكانِ

وتضجُّ فِيَّ الذكرياتُ مزيلةً

ما كان فِى الهجران من نسيانِ

لبنان يا نَفَس الخزام ضُحًى ويا

قُبَلَ الندى للنرجس الظمآنِ

عاد ابنك النائِى إليك وقلبُهُ

يروِى حديث الشوق بالخفقانِ

عيناه تائهتان باحثتان فِى

دنياكَ عن رفقائه الفتيانِ

يمشِى هنا وهناك وهو محدّقٌ

للناس والأشياء كالحيرانِ

متلفتٌ متسائلٌ عن صحبهِ

وبصحبه لعبت يدُ الحدثانِ

أين الصبايا الحالماتُ ولم يكن

وَضحَ الغرامُ لهنَّ بالصبيانِ

أين الذين تركتهم عند النوى
فِي السفح بين الكرم والبستانِ
أين الرفاق المشرقات وجوههم
لسلامة الأرواح والأبدانِ ؟ !
ذهبت بهم هـــذا إلى لارجعةٍ
ترجى وذاك لرجعةٍ بِهوَانِ
عاش المُهاجر فِي المهَاجر شاكياً
بل حاسداً من مات فِي لبنان
باع الشقيُّ شبابَهُ بنقودها
بيع المغامر حنطةً بزوان
لوعاد بالدنيا العريضة بعدما
فقـــد الفتوَّةَ عاد بالحرمانِ
إنَّ الفتوَّةَ فِي الحياة حديقةٌ
مخضلَّةٌ فِي مهمهٍ حرّانِ

إنّ الشيوخ المبعدين عن الهوى

والموميات لدى الهوى سيان

إنْ لم تجد فيك الحسانُ بقيةً

من روعةٍ لم يُجْدِكَ الثقلانِ

فانظر لقدرك عندهنّ فأنتَ من

نظراتهنّ إليكَ فِى ميزانِ

وتلَقّ مبرَمَ حكمهنّ بحكمةٍ

وتقبّل التنفيذ باطمئنان!

* * *

لبنان ياوطنَ الجمال تحيةً

تغشى ربوعكَ مع شذى نيسانِ

يامهدَ أحلام الشباب ومصدرَ

الحبّ البرىء وهيكل الإيمانِ

إنى أراكَ فتىً أشدّ فتوّةً

من عهدِكَ الماضى فكيف ترانِى؟!

سلبتنىَ الأيامَ بُردَ فتوّتىِ
وحبتكهُ ، إنِى بذلك هانِى

والدهر أعطانِى السلامَ فليتنى
أسطيع أن أعطيك ما أعطانى

وطنى أريدكَ مطمئناً آمناً
متمتعاً بمحبة الإخوانِ

لاجاحداً فضلَ الاخوّة ، شاحذاً
للمعتدين صوارم العــدوان

ماهذه الاصواتُ أسمعها هنا
وهناكَ وهِى الوقر ِفى الآذانِ

من كان يحسب أنَّ فِى لبنان من
يتقبّلُ الصفعاتِ بالشكرانِ

أَوَليس خلقُ المسخ أفظع صفعةٍ
للحقِّ ، مال لوقعها الهرمانِ

أمدُّ بالأزهار أيدينا إلى
شنآنَ مــد يديه بالثعبانِ

ألقاه فِى أحضاننا وأمدَّهُ
بالسمّ والنابين والروغانِ

إنَّ الألى قتَلَ اليهودُ وشرَّدوا
بسلاح فتّاكٍ وسعى جبان

إن لم يكونوا أهلنا أفَما همو
جيراننا ؟ أنسِيءُ بالجيران ؟ !

إن لم نكن عرباً يميل بنا الهوى
معهم ، ألسنا من بنى الإنسانِ ؟

إن لم يكن لبنان فِى الشام التى
غدروا بها أيكون فى اليابان ؟ !

فرسانُ يعربَ فِى السباق أيكتفِى
لبنان بالتصفيق للفرسان ؟

أَفَلا نشاركم بنظم قصيدةٍ
حَمَلت شعار المجد في العنوانِ ؟
أبيات ملحمة العروبة صورةٌ
للشعب لاالحماقة التيجانِ
أنتيجةُ الاشعاع ياوطني عمىً
يقض على الاشكال والألوانِ ؟ !
وعلى العقول فلا تميّز محسناً
نصر العروبةَ من مسيءٍ جانِ ؟
ليس السكوتُ فضيلةً ، أفضيلةٌ
واللصُّ والشرطيُّ يصطرعان ؟
من شدَّ أزرَ اللص كان شريكهُ
فاميركا وربيبها صنوانِ
غنى (ابن غريونٍ) ، ورجّعَ صوتهُ
مترنحاً أعزوفة (شرومان)

وتراقصا فذكرتُ عهدَ طفولتى
متفرّجاً بالدبِّ والسعدان!

رَقصا لنكبة يعرب بهما وما
حسبا حسابَ تبدُّل الأزمانِ

لاتخدعنَّ الأقوياءَ نفوسهم
تُذرى الجبال بنفخة البركانِ

والدهرُ يملأ قــدرَهُ ويصبُّها
كالساحر المحتال فِى فنجانِ

يقوى على أقوى السلاح رجاؤنا
وإباؤنا يطغى على الطغيان

سيكون حظُّ السالبين حقوقنا
منا كحظ الفُرْس والرومانِ

فِى القادسية من صوارمنا دمٌ
يجرى إلى اليرموك أحمر قانى

فِي الموقفين تجدَّدت راياتنا
منصورةً فتقلَّص الشعبان

* * *

والإنكليز ؟! أعيذ كلَّ مسالمٍ
من شرِّ طائفةٍ من الغيلانِ
زرعوا الشرور فكلُّ شرٍّ نابتٍ
يتعهدون أصوله بحنانِ
فاذا نمت أغصانه وتفرَّعت
نسبوا جريمتهم إلى الشيطانِ
شمّوا ترابَ عُمانَ فاكتشفوا به
سرَّ الغنى فتشبثوا بعُمانِ
وتذكَّرَ اللوردات أنَّ جدودهم
بالأمس ما كانوا سوى قرصانِ
فرموا بيوتَ الآمنين بنارهم
متذرّعين بخدمة السلطانِ

هذى طبيعتهم فكيف نلومهم
ماللذئاب طبائع الحملانِ

* * *

أمّا فرنسة ! ماذكرتُ فرنسةً
إلاّ ذكرتُ البطش ِفى الميدانِ !
لطفُ النعاج إذا احترزتَ من الأذى
فاذا غفلتَ فوثبة الذؤبانِ
فِى الشام من تفظيعها أثرٌ وفِى
إفريقيا من غدرها أثرانِ
واليوم تحتضن اليهودَ نكايةً
ومصيرها معهم إلى النيرانِ
فلقد حفرنا فِى الجزائر قبرها
مبقين إسرائيل للحيتانِ !

* * *

أرأيتَ ياوطني حماةَ حقوقنا ؟ !

ثالوث شرٍّ دائم الفورانِ

أرأيت من حلفاؤنا ؟ أفلا ترى

أنّا بهم في الوحل للأذقانِ ؟

غمرت شرورهم القرى والبيدَ من

دنيا العروبة فهي كالطوفانِ

لم ينجُ قطرٌ من لهيب سياطهم

إلاّ الذي قد لان للارسانِ

لما استقلت مصرُ صاح كبيرهم

لن تستقلَّ ونحن في الميدانِ

أيفيض نيلُ الآبقين ونحن لم

نصدر إليه الأمرَ بالفيضانِ

وتكتلوا وتآمروا وتنمّروا

وهوَوا كمطرقةٍ على سندانِ

وقعوا على مالم يدرِ فى بالهم

ورأوا قوًى ماكنَّ فى الحسبانِ

صرخات يغربَ خلفهم وأمامهم

ومكانَ سيل النفط غيمُ دخان

فارتد أسطول الغزاة وجيشهم

عن بور سعيد مضعضعَ الأركانِ

عادوا بأمجاد الهزيمة خلفهم

(جنبار) نائحة على المرجانِ

والثعلب الجبار عاد ورأسه

والذيلُ تحت البطن يلتقيانِ ؟

فتظاهرت أمُّ الدولار بشجبهم

ماأشبه الكذابَ بالعريانِ !!!

* * *

وطنى المفدّى طال عهدُ فراقنا

ليت اللقاءَ يطول كالهجرانِ

أنا ما أتيتك واعظاً بل شاعراً
متغزلاً بجمالك الفتانِ
لكنني وأنا الغيور أثارني
قولٌ يثير كوامنَ الأشجان
لبنان متهمٌ بصدق ولائهِ
متسترٌ باللف والدوران
ولنحن نأبى أن نرى لك راشقاً
إلاّ بماء الورد والريحان
إنا نريدك قوّةً في هيكل
متشامخ متماسك البنيان
حتى يكونَ لنا ونحن أعزّةٌ
وطنٌ نتيه به على الأوطانِ

كل شيطان

زار الشاعر غبطة البطريرك المعوشي في بكركي
وسجل عنده هذه الأبيات :

يا صاحبَ القلب الذي غمرتْ
آمالُهُ آلامَ لبنانِ
وطوَت ضغائنَ كان ينشرها
باسم الديانة كلُّ شنآنِ
أنا من وراء البحر كنتُ أرى
ما كان يجري بين إخواني
وأرى الجناةَ يسلّطون على
هذي الربوع طوائف الجانِ
وأراك تدفع كلّ نازلةٍ
عنها بإخلاصٍ وإيمانِ
حتى إذا ما النازحون مشَوا
والشرُّ منهم موشكٌ دانِ
علّقت رسمكَ عوذةً لهمو
وطردْتُ باسمك كلّ شيطانِ

حلب

زار الناظم مدينة حلب فأقام له المركز الثقافى العربى حفلة أنشد فيها ما يأتى :

كعبة الشعر لقد جئتُ حواليكِ أطوفُ

ولجنّ الشعر فى سمعى ضجيجٌ وعزيفُ

طالما فى الليل من جوّكِ زارتنى طيوفُ

بينها الطيف الذى يعلو عليها وينوفُ

طيفُ من فى شعره المسحور للجنّ كهوفُ

طيفُ من كانت له الأقلام تبريها السيوفُ

طيف من يجلس فوق العرش والناس وقوفُ

طيفُ من يرهبهُ الدهرُ وتخشاه الحتوفُ

ألفُ عام قد مضت والألف تتلوه ألوفُ

وهو حىٌّ لقوافيه طبولٌ ودفوفُ !

* * *

يا أبا الطيّب يا أشعر من تحت السماء
يا أميرَ الأمس واليوم وفخر الشعراء
ضيفكَ اليوم فتىً من بلدٍ في الغرب ناء
جاء تحدوه إلى دنياكَ دنيا من رجاء
شاكياً ما حلَّ في الشعر بفضل الأدعياء
الأُلى قد صيّروا الشعرَ هراءً في هراءِ
فهو غربيٌّ بثوبٍ كرنفاليٍّ مراءِ
سيّءُ اللهجة والتعبير مذموم الأداءِ
فارغٌ كالطبل أو كالبوق أو كالرمزراءِ
يا أبا الطيّب نجِّ الخلقَ من هذا الوباءِ!

* * *

يا أبا الطيّب وانظر ما دهانا من خطوبِ
في شمال الشام تُركٌ ويهودٌ في الجنوبِ
وكلا الذئبين مربوطٌ بذؤبان الغروبِ
غير أنّا قد تمرّسنا بأنواع الحروبِ

لن ترى الذؤبان منا غير تحطيم النيوبِ

وحديدٍ يقذف الموتَ ونارٍ فى شبوبِ

وفتى الشهباء فى الهيجاء كالليث الغضوبِ

سوف يلقى التركَ خلف الدرب بل خلف الدروبِ

ملقياً درساً على المزرى بآمال الشعوبِ

وعلى الحاسب أهلَ الشام أهلاً للركوب !

* * *

يا أبا الطّيب طب نفساً ولا تقلق علينا

بعد أن كنا ضللنا النهجَ عدنا فاهتدينا

إن مفتاح رتاج المجد أمس فى يدَينا

نحن مع مصرَ المفدّاة على الحبّ التقينا

وعلى الدرب الذى خطّطه المجدُ مشينا

قل لأهلٍ فارقونا ستعودون إلينا

وحدّت غايتنا الأقدار شئنا أم أبينا

نحن أغصانٌ إلى دوحة عدنانَ انتمينا

ومن العين التى فجّرها الحبُّ ارتوينا
فاذا لم تَجُـدِ الأثمار كان الحمل شينا

* * *

يا أبا الطيّب فى الشهباء من روحكَ نارُ
لم يزل يهوى عـلى أرواحنا منها شرارُ
لَـكأنى سامعٌ منها وللّيل اعتـكارُ
نبرةً يسمعها الليلُ فيعروه انهيارُ
أكؤس الشهباء ما زالت على الناس تدارُ
وهى من شعركَ فيها لا من الـكرم العقارُ
يا بنى الشهباء يا من بأبى الشعر استناروا
داركم فى دورة التاريخ للأمجاد دارُ
أىُّ عصرٍ مالـكم فيه نموٌّ وازدهارُ ؟
أىُّ حربٍ مالـكم فيها بلاءٌ وانتصارُ ؟!

وداع الشام

أتبسط راحةً وتمدُّ باعا

كأنكَ تستطيع لها وداعا ؟!

وقلبك خالط النفحات فيها

فلو شاء الوداع لما استطاعا

ربوع الشام يا لكِ من ربوعٍ

تباهي قمّةً وتعزُّ قاعا

رضعتُ هواكِ أندب حظّ طفلٍ

شقيٍّ لم يشاطرني الرضاعا

فشبَّ - ولم يذق يتماً - يتيماً

إذا شبعتْ أباة الضيم جاعا

وأهل الشام كالنار امتداداً

إلى العلياء والسيل اندفاعا

كرامٌ ينتمون إلى كرامٍ
إذا ذُكروا حسبتَ المسكَ ضاعا

غداً يطوى جناحى البعدُ عنهم
وتنشر نفخةُ البين الشراعا

ويفصلنى عن الفَيحاء بحرٌ
كبحر الشوق عمقاً واتساعا

وبعد غدٍ سألقى الوُلْدَ حولى
ويلقى الوُلْدُ بى رزقاً مشاعا

ووُلْدُ الوُلْدِ أحملهم ثلاثاً
على زندى وأحضنهم رباعا

أرجّى قربهم وأخاف بيناً
يجشمنى عن الشام انقطاعا

لهم حقٌّ وللفيحاء حقٌّ
ولست بقابلٍ حقاً مضاعا

فاسأل فى اضطراب الفكر نفسى
أذا أَم ذاك أولى أن يُراعى ؟

ونفسى تدرس الحقين حتى
لتشكو فى دراستها الصداعا
تقاوم تحت عاصفتى شعور
ترى التوفيق بينهما خداعا
وتشعر أنها مهما استقرّت
ستذوى وهى تُقتلَع اقتلاعا
ويقتلها على الحالين شوقٌ
يهاجمها ولا يلقى دفاعا
فوالهفى عليها كيف صارت
نضارةُ عيشها الزاهى صراعا
وكيف تحرّك الأقدارُ قسراً
أمانيها انخفاضاً وارتفاعا
إذا لبثت هنا ذابت حنيناً
وإن قضت النوى طارت شعاعا

دمشق ١٨ كانون الثانى ١٩٦٠

مرحى فتى الوادى

أنشدت فى الحفلة الرسمية التى دعا إليها الوزير كمال الدين حسين باسم المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب فى صالون فندق هلتون النيل مساء ١٣ آذار سنة ١٩٦٠

يامصرُ كنتُ أراكِ فِى أحلامى
فأرى الشبابَ ، وقد كهلتُ - أمامِى
ياطلعةَ الأمل الضحوكِ تحيةً
فيها حرارة صبوتِى وهيامِى
يامَوئل الأحرار ممن حقّقت
لهم السيوفُ أمانى الأقلامِ
لِى فِى هواكِ مذ اغتربتُ رسالة
ما زلتُ أنشرها على الأقوام
ضجّت بها دنيا العروبة والتقت
أصداؤها فِى الشاسع المترامى

وتزاحمت سودُ السحائب حولها
تسقى رمالَ البيد وهى ظوامى

فتلفتَ النيلُ العظيم مباركاً
صبًّا لهُ يزرى على اللوّام

متحمساً يَسَع العروبةَ قلبُهُ
وكلامهُ ضربٌ من الالهام

يدعو الشبابَ إلى العناد لأنه
ما عابهم شىءٌ كالاستسلام

وإلى اقتناص النسر وهو محلّقٌ
وإلى اقتحام الأسْد فى الآجام

إنّ الشبابَ حماسةٌ وشجاعةٌ
ومروءةٌ وترفُّعٌ وتسامِ

تمتاز قيمتُهُ ويُعرف قدرُهُ
بالحزم لا بأناقة الهندام

أوَ ماترونَ جمالاً الماضى على

وحىِ الشباب كشفرة الصمصام

مد اليدين إلى أشاوسَ يعربٍ

بوثيقة المستقبــل البسّام

فيدٌ على الأرز النضير تهزُّهُ

بلباقةٍ ويدٌ على الأهرام

جَمعَ الكنانةَ والشآمَ بعزمه

ورمى عدوّهما كأبرع رامِ

فتمازج القطران بحراً طامياً

متوثباً أبداً ببحر طامِ

ومضى الدخيلُ يعدُّ باقى عمرهِ

بعد السنين السود بالأيامِ

ذهبَ الزئيرُ وراءهُ وأمامهُ

بغرورهِ فصحا من الأوهامِ

ودرى الحقيقةَ حينَ أبصر نفسهُ
كالشلو بين مخالب الضرغامِ

* * *

مرحى فتى الوادى ملأتَ قلوبنا
أملاً بهدم الغاصب الهدّامِ
ورفعتنا بعد انخفاض جباهنا
وظهورنا للناس كالأقزامِ
عصفت بنا قبل انتفاضتك التى
جلت الظلامَ عواصفُ الظلام
فأصابنا والحادثاتُ تلفّنا
بضبابها سكرٌ بغـــير مدامِ
كنا حيارى لا الطريق أمامنا
بادٍ ولاهادٍ مِن الحكّامِ
نرمى بأعيننا البلادَ فلا نرى
إلاّ بصيصَ أشعةٍ فى الشام

حركات شبّانٍ يدُلُّ حدوثها
أنَّ الحياةَ تدب فِى الأجسامِ

شىءٌ من الآمال يُبرق خاطفاً
فتليه أشياءٌ من الآلامِ

حتى طلعتَ فأشرقت آفاقنا
وأزال نور الحقّ كلَّ ظلامِ

سَرت النضارةُ فى هشيم رجائنا
وكسا الربيعُ فدافداً وموامى

وكأنما انقطعت حبالُ مذلَة
ربطَت رؤوسَ العُرْب بالأقدامِ

فتطاولت قاماتهم وتصاعدت
نظراتهم كبراً إلى الأجرامِ

ومشى شبابُ النيل تحت نخيلهِ
فتمسَّحت سعفاتُهُ بالهامِ

سحرٌ شملتَ به الجميع كأنهُ
يسري إلى الأنفاس في الأنسام

تثبُ العجوز إذا دعوتَ صبية
والشيخ ينهض ظافراً كغلامِ

ويثير ذكركَ في الجبال حماسةً
تجري إلى الشطآن بحرَ ضرامِ

حُمِّلتَ أثقال العروبة كلها
فرداً وقمتَ بهنَّ خير قيامِ

ومشيتَ والدربُ الطويل أسنّةٌ
ويخالهُ المخدوعُ ريشَ نعامِ

أنى لمثلكَ أن ينامَ وعلمهُ
أنَّ العدى حوليه غيرُ نيامِ

ويرى فلسطين التي من جرحها
في كلِّ قلبٍ كلُّ جرحٍ دامِ

أبناؤها وهم الأعزّةُ أصبحوا
يتحملون مذلَّةَ الأيتامِ

وهناك فى أقصى الشمال سبيّةٌ
أُخرى عنَت قسراً لغير كرامِ

إسكندرون ولا إخالك ناسياً
ذَهبَت هديةَ مومسٍ لحرامى !

واللهِ والقمَرينِ والشرف الذى
جعل العروبةَ فى أعزّ مقامِ

إن لم نُعِدْ حقيهما ونصنهما
كانت مفاخرنا ركامَ كلامِ

دعوى البطولة لا تصحُّ لساكت
عن حقّهِ ، متغافلٍ . متعامِ

فأعِدْ كرامتنا بمنطق مؤمنٍ
متشبّثٍ بالحقّ أو بحسامِ

فلأنت يا سَنَدَ العروبة قائدٌ

بطلٌ وقاضٍ عادلٌ ومحامِ

ولنحنُ في الجُلّى أسنّتك التي

لو شئتَ لارتفعت على الأعلام

فارمِ العدوَّ بنا ونم مستبشراً

بالنصر ، إنَّ النصرَ في الإقدام

سكارى

أُعالج أجفاني كمن كان في حلمِ

وأسأل أخواني وما علمهم علمي

أحقاً لثمتُ الشامَ في يوم عرسها

وقبّلتُ مصراً وهي في فرحة الأمِّ

وجوّلتُ في لبنانَ ، سفحاً وقمّةً

ونمتُ بظلّ الارز والحور والبطمِ

وغازلتُ بيروتاً من الطود مشرفاً

على يمّها والشوقُ يهدر كاليمِّ

وسرتُ على رمل الشواطىء حافياً

أوشّمهُ والموج يذهب بالوشمِ

وزرت كفرشيما فلم يبقَ ناطقٌ

بها لم يرحّبْ بي ويسرعْ إلى لثمي ؟!

* * *

لِكُلٍّ بِلادي في المحبَّة بلدتي
وأهل بلادي أخوتي وبنو عمّي

وما شذّ منهم غيرُ من ساءَ فهمهُ
فصار يرى الفهمَ الصحيحَ من السُقمِ

وما هو فردٌ إنما هم جماعةٌ
جماعة أصفارٍ تُصَفُّ بلا رقمِ !

ووالله لولاهم ولولا انحطاطهم
لما انحطَّ في لبنان شيءٌ عن النجمِ

فلا عيبَ في لبنانَ إلاّ انتماؤهم
إليه فهم في وجههِ سمةُ الشؤمِ

زعانف شاؤوا أن يفوزوا فقصّروا
فذلّوا فراحوا يشتمون ذوي العزمِ

نريهم على ضوء النهار حقائقاً
فيعمون عنها مستنيرين بالوهمِ

سكارى بخمر الجهل تغشى عيونهم
سحائبُ حقدٍ كلما عربدوا تهمي

يضجون حتى يقلقوا كلَّ سامعٍ
ولم ينتجوا طول الحياة سوى العقمِ

تعصُّبهم يختال فى ثوب غيرةٍ
على الوطن الثانى فيُضحك ذا الفهم

تزيّوا بأزياء الرعاة تنسُّكاً
وجرّوا على النساك سيلاً من الذمّ

وقد لبس الذئبُ المسوحَ فغشّنا
ولكن إلى أن شمَّ رائحةَ اللحمِ !

يريدون منى أن أكذّبَ ناظرى
وسمعى وأن أبنى على وهمهم حكمى

يريدون منى أن أضحّى بسمعتى
لأُرضى هواهم، ربّ إنّ الهوى يعمى !

يريدون منى أن أسير وراءهم
فيا شقوَةَ المنقاد للعمى والصمّ

إذن أين أمضى بالحقيقة والحجى
أأنساهما واسماهما اقترنا باسمى ؟

خلقتُ لقول الحقّ يكوى جباههم
ولو عصروا لحمى ولو طحنوا عظمى

ولا شأن لى معهم ولكنّ لى أخاً
يجالسهم أخشى عليه من الوهم

فللداء عدوى كان فى الروح سارياً
يغلغل فى الأخلاق أم كان فى الجسم

وإنّ أخى هـذا ليشهد رميهم
سكوتاً فلا يبرى السهام ولا يرمى

إذا صاحبى لم يحشُ حلقوم شاتمى
تراباً فقد والله شاركَ فى شتمى

وإن هو لم يدحض لحفظ كرامتي

أكاذيب خصمي كان شرًّا من الخصمِ

لذلك أدعو بالرشاد لصاحبي

فليس احتمال المفسدين من الحلمِ

وأدعو لنفسي أن أظلّ كما أنا

شجىً في حلوق الحاسدين بني اللؤمِ

وأدعو لأوطاني بيسرٍ ووحدةٍ

يشدّانها في حالة الحرب والسلمِ

وأدعو لغسل الأرض من كلّ ظالم

فلا عيشَ للحرّ الكريم مع الظلمِ

ولن تصلحَ الدنيا وفيها ضفادعٌ

تعيب على شحرورها رقةَ النغمِ

يا نصر

إلى أخي الشاعر نصر سمعان

يا بلبل النادي الذي هاج البلابل في الرياض
فغدت تفيض من الرحيق على القلوب بما أفاض
أليوم عيدك فالأماليدُ النواعمُ في انتفاض
والماء يرقص في جداوله ويضحك في الحياض
والزهرُ من عبث الفراش له انبساطٌ وانقباض
والليل أشرق بالنجوم كأنه لبس البياض

* * *

يا كوكبَ النادي المطلّ على الرفاق من السماء
في هالة زهراء ممن يحفظون لك الولاء
فلقد كسوت حياتهم ثوبَ الملاحة والبهاء
وسكبتَ في أسماعهم شعراً أرق من الهواء

في بؤسهم ونعيمهم هو ندبهم وهو الغناء
هم يطردون اليأس أو يحدون قافلة الرجاء

* * *

يازهرةَ النادي كأنَّ أريجها خمر النفوس
طاف النسيمُ بها علينا لادنانَ ولا كؤوس
حتى إذا ولجت مسامعنا تمايلت الرؤوس
وعلا الهتاف بمجد من ركبوا الخيال إلى الشموس
فليذهب المتعصبون الحاسدون إلى الرموس
لاشأن للشعراء أبناء السماء مع التيوس!

* * *

ياشاعرَ النادي الذي فتن الصبايا والشباب
ومشى تحيط به عيون المعجبين على السحاب
يانصر أنت اليوم تحصدما زرعت من الرغاب
فاهنأ ، أخي، فلحق من بَذَل النفائس أن يثاب
إنى لتثقلنى الديون ولاأرى للدفع باب
اعذر أخاك وخذ وقيِّد ماتراه على الحساب

كل نجم باصبع

إلى أخي الكاتب الأديب حبيب مسعود

حمائم غاب الارز غنى ورجّعِ

وصبّ رحيق اللحن في كأس مسمعي

فاني لمشتاقٌ إلى الخمرة التي

صفت لابن مسعودٍ ولابن المقفّعِ

يقطّرها من كرمة الوحي مدمنٌ

يعيش بها ماعاش سكران لا يعي

إذا ما حبيبٌ صبها وأدارها

علينا لمسنا كلّ نجم باصبع

ورُدنا الاعالي في مناطيد نشوة

نرى الأرض منها كالبساط المرقع

حبيبٌ حبيبُ العُرْب من كل ملَّةٍ
وكلّ مصيف فى الشآم ومربع

يعود إليه اليوم بعضُ الذى لهُ
على الناس من فضل عليهم موزَّع

أنار لهم سبل الحياة برقم
لهُ قوّةُ الصمصام فى كف أروع

يداوى به الأخلاق فهو كبلسم
على جرحها طوراً وطوراً كمبضع

ويلقى على الأوهام نوراً فتختفى
ويبطل دعوى الجاهل المتنطّع

وهل يقبل الأوهام من صحّ عقله
وهل يسكت الموهوب عن هذر مدعى

ومن كحبيب يُخجل النظم نثره
لما فيه من لفظٍ رشيقٍ موقّع

يرّصع بالأفكار كلَّ صحيفةٍ
تتيه على صدر السماء المرّصعِ

إذا جال فى أسطارها طرف عاقلٍ
فقد جال فى روض من الحسن ممرعِ

تلوح المعانى خلف شفّاف لفظه
كما لاح ثغرٌ باسمٌ خلف برقعِ

فما كلُّ من يبرى اليراعة كاتبٌ
ولا كلُّ محسوبٍ عليها بمبدعِ

وليس الذى يمشى إلى الحق شامخاً
عزيزاً قوىَّ الخطو كالمتسكّعِ

وفى الناس من يرضيك شكلا ومنظراً
وان تبلُه تقرف وتأنفْ وتفزعِ !

⋆ ⋆ ⋆

أخا القلم المسحور زدنا بلاغةً
وحلّق بنا ماشئت واصدع وسجّعِ

ففي الملأ الأعلى معانٍ تصيدها

وإن تَلقها في السمع تنبتْ وتفرع

هنيئاً لك المدح الذي جاء شاخصاً

لموضعكَ المرموق من كلّ موضعِ

فليس مديح الناس إلاّ نتيجةً

لما فيك من طبع الشذا المتضوّعِ

بمن ؟

بمن تُقصى فلسطين الأعادى

بعبد الله أم عبد العزيزِ ؟

وهـذا الجلف عبد العمّ سامٍ

وذاك الجلف عبدُ الانكليزِ !

سنة ١٩٤٨

عيب المدينة

عابَ المدينةَ أنَّ النازلين بها

من آل يعربَ ليسوا في الهوى عربا

فإن تزرني تقلْ هذا أخو أدبٍ

وإن تزرهم تقلْ ما أضيع الأدبا

اعذروه

قالوا فلانٌ سبَّك اليوم على

مسامع الناس بلفظٍ منكر

قلتُ اعذروه ، إنني عاذرُه

ما يفعل الكلبُ إذا لم يعقر ؟!

تعليق على كتاب

صدر منظوماً (باللغة) اللبنانية ومطبوعاً
بالحرف اللاتيني ... !

شعرٌ صفا كالذهب المصفّى
واللؤلؤ المكنونْ
والدمع والنجومْ
عابوا عليه أنه مقفّى
وأنه موزونٌ
وأنه مفهوم !

* * *

ماذا ترى يريد أن يقولا
العبقريُّ الملهمْ
بلفظه المنغومْ

أراد أن يعارضَ الفحولا

فقال مالا يَفهمْ

كأنه محمومْ !

* * *

ماتت (صباحُ الخير) فى لبنانِ

على شفاه الناسِ

فى زحمة (البُنجور)

وشذّت الألفاظ والمعانى

عن منهج القياس

وزيد فى الطنبور ...

* * *

هذا كتابٌ معجزٌ فهيًّا

يا نفس تستفيدى

وتبلغى المنى

لا تحزنى فانّ (هَنَّخيّْ)

بثوبها الجديدِ

ما برحت (هنا)

☆ ☆ ☆

هذا فريد الكتب الفريده

ليقهرَ العروبه

قد لبس القناع

وجال فى بابلنا الجديده

فى أرضنا المحبوبه

فى بلد الاشعاع ...

تعالوا

ألا بشّروا الدنيا بنجمٍ لنا يبدو

فقد يغمر الدنيا على يدنا السعدُ

حطمنا جبين الظلم فالحقّ مشرقٌ

بآمالنا الزهراء والبطلُ مكمدٌ

أزلنا الجلاميدَ التى كان ظهرنا

ينوء بهـــا حتى لقد كاد ينهدّ

مشينا فما فى الكون شىءٌ يعوقنا

ولسنا ولو ساخت بنا الأرض نرتدّ

لنا مجدنا الماضى الذى جاوز السهى

وفى مجدنا الآتى لعين السهى سهدُ

ستبحث عنا فوقها مستنيرةً

بإشعاعنا الصافى فيعجزها البعدُ

سنضفى على الأيام ثوباً من السنى
سداه الحجى الهادى ولحمته الجِدُّ
سنجعل فكر المرء حرًّا مقدّساً
له مسرحٌ فى الكون ليس له حدُّ
فلولا امتداد الفكر ما امتدَّت المنى
وما انفتَّ فى كفّ الحجى الجوهر الفردُ
ولولا ارتفاع النفس لم ترتفع لنا
صروحٌ بها التاريخ من عجبهِ يشدو
وإنا لمن قومٍ تساءل عصرهم
عزيمتهم أقوى أم الحجر الصلدُ
ومن أمَّةٍ تبنى الحياةَ وديعةً
وداعةَ حملانٍ تحاذرها الأُسدُ
فإنْ تسألوا عن مهد كلّ عظيمةٍ
يخبّركمو تاريخها أنها المهدُ

مواطنها في الخافقين كصيتها
جنانٌ فيها ينبت الآس والندُّ
توالت عليها الحادثات وفضلها
على جنبات الأرض مازال يمتدُّ
وما برحت تكسى بروداً قشيبةً
برودَ شبابٍ قد حباها بها الخلد
فتضحك للأقدار والدهر عابسٌ
وتقتحم الأخطار والأفق مسودُّ
وقد هانت الجلّى لديها فخرُّها
وإن كان يشوى أو يذيب الصفا بردُ
يهمُّ اشتداد الجزر والمدِّ ساحلاً
وسيان عند القمّة الجزر والمدُّ
وليس يبالى البحر ريحاً تهزُّهُ
وكيف وفي أمواجه الغور والنجدُ ؟

* * *

تعالوا بنى أمّى نوحّدْ جهودنا
ونسرع فركب القوم قدّامنا يعدو

تعالوا بنى أمّى ففى جمع شملنا
لنا قوّةٌ تُخشى وفى القوّة المجدُ

تعالوا نؤلفْ دولةً فى ظلالها
جميع فروع الضاد تنمو وتشتدُّ

تعالوا نُقم للعقل عرشًا ونحتكم
إليه فحكم العقل ليس لهُ ردُّ

متى تعتنوا بالقلب لا تهملوا النهى
فليس بمغنينا عن الحنطة الوردُ

ذوى عهدنا الماضى ولكن بجدّنا
وإخلاصنا للعرْب جدّ لنا عهدُ

سننظم عقداً واحداً من جماننا
فليس صوابًا كلُّ لؤلؤةٍ عقدُ

سننشىء جيشاً واحداً من شبابنا

طليعته برقٌ وساقته رعدُ

سنطوى بايدينا بنوداً كثيرةً

وحسب المعالى أن يظلَّ لنا بندُ

تخيف شياطين الليالى أصابعٌ

تجمّعها كفٌّ ويرفعها زندُ

وتعجز عن تخويف طفلٍ إذا التوت

وفرّق وسطاها عن البنصر الحقدُ

إذا كانت الدولات عشراً ليعربٍ

فكم دولةً تستوعب الصينُ والهندُ؟!

وما بالنا ما قام منا معالجٌ

لأدوائنا إلاّ وقام لهُ ضدٌّ ؟!

⁂

أرى السرَّ فى تركيبنا لا محيطنا

قد اختلف التركيب فاختلف القصدُ

فمن ندَّ عنا ندَّ قسراً كأنهُ

مسوقٌ فما من سيرهِ شارداً بدُّ

يُصيب الغنى زيدٌ وبكرٌ كلاهما

فزيدٌ لهُ سيدٌ وبكرٌ لهُ عبدُ

وإنَّ تراباً واحداً منه كلنا

هو السمُّ فى الأفعى وفى النحلة الشهدُ

وإنَّ حفيداً فيه آفاتُ جدّهِ

ليذهب مذموماً كما ذهب الجدُّ

فلا تنفقوا الجهدَ الذى تملكونهُ

جزافاً على من ليس يصلحه جهدُ

دعوا كلَّ من لم يمش معْنا وشأنهُ

قريباً سيدرى أنهُ ضائعٌ وحدُ !

* * *

فيا موطنَ الأحرار من آل يعربٍ

فداك الشيوخ اليعربيون والمردُ

لذكرك تهفو مسرعاتٍ قلوبنا
خفافاً كطيرٍ فى الفلا شاقها الوردُ

إذا طابت الدنيا فأنت لنا المنى
وإن خبثت يوماً فنحن لك الجندُ

متى تدعنا نهرعْ إليك تقلُّنا
نسور حديد لا مطهمةٌ جردُ

ونتبعْ منىً بيضاً تجلّى ابتسامها
لآمالنا، إنّ ابتسام المنى وعدُ

ونجعلْ من الأحلام والشمل واحدٌ
حقائقَ تخشى ضوءها الأعين الرمدُ

وددتُ لقومى أن تزان حياتهم
بأحسنَ مما هم لأنفسهم ودّوا

وسرتُ مع الحائى حماهم يشدّنى
إليه ولاءٌ ليس يُضعفه صدٌّ

فانى امرؤٌ لا ندَّ لى فى محبّتى

لمن ماله فى الذود عن أمتى ندُّ

همُ العربُ من يُحسن إليهم وإن يُسىء

إلىَّ يكن فرضًا علىَّ له الحمدُ !

البحيرة الجافة

عرفتُها ضاحكةَ الضفاف

صافية الينبوعْ

وجهُ السماء الأزرق الشفافْ

فى وجهها مطبوعْ

* * *

عرفتُها مزدانةً بالغيدْ

يأتينها كالطير من بعيدْ

فى مستهلّ الموسم الجديدْ

فهى وهنّ أبداً فى عيدْ

عيد الشباب الناضر الرفّافْ

المنشد المسموع

الراقص (التنغو) على المجدافْ
فى خفقة القلوعْ

* * *

عرفتُها فى موسم الشبابْ
تهفو الصبايا حولها أسرابْ
وما على الأبدان من ثيابْ
يحكى بقايا الثلج فى الهضابْ
فتلكمُ النهود فى الغلافْ
تحاول الطلوعْ
مكنونةً كالدرّ فى الاصدافْ
والزهر فى القموعْ

* * *

عرفتُها منظومةً بالحورْ
كالشعر من مختلف البحورْ
والسوق والأفخاذ والنحورْ

يغرق فيها النظر المسحورْ
رفٌّ من الحمائم اللطافْ
مفرّقٌ مجموعْ
مستحسن التحليق والاسفافْ
والحوم والوقوعْ

* * *

كلُّ حمامةٍ لها رفيقْ
من الهوى سكران لا يفيقْ
يكسو لها بالزَّهر الطريقْ
مقيداً بالأمل الطليقْ
والماء بين الحور والصفصاف
كأنهُ دموعْ
تلمسهُ أيدى الصَّبا الخفافْ
فتنسجُ الدروعْ !

* * *

لهفى عليها غاضت المياه

فيها وغاض البِشر والرفاه

وأمست الضفاف كالشفاه

قد حرمتها القُبَلَ الحياه

جفّت بها الأصول والأليافْ

وجفّت الفروعْ

وصار عزف الجد جد العزّافْ

للضبّ واليربوعْ !

* * *

أمشي على ضفتها حيران

فلا أرى طيراً ولا إنسان

فارقها الحمام والحسان

والزهور والأنوار والألوان

أرمقها يأسانَ بانعطافْ

منقبضَ الضلوع

ما كان يدعونى إلى السلافْ

دعا إلى الخشوعْ

كأننى هِمّ بهِ يُطافْ

فى بيعةٍ مطفأة الشموعْ

حزينةٍ هجرها يسوعْ !

غادة من لؤلؤ

أرسل الأمير عبد الله الجابر الصباح إلى صديقه الشاعر المهاجر رسالة يعرب له فيها عن صادق الود والوفاء وأتبع الرسالة كسوة عربية فاخرة فكتب الشاعر إليه :

وصلتْ رسالتك التى أنشدتُها
نشوانَ من خمر البيان الصافيه
فكأنها شعرٌ يدلُّ بروحهِ
وبلفظه وبوزنه والقافيه
وكأنمـــا هى غادةٌ من لؤلؤ
نشأت هنالك فى المياه الدافيه
لما دعوتُ تزينت وتبرّجت
حتى تكون بلطف ذوقك وافيه
وأتتك من ماء الخليج مطيعةً
تهتزُّ العجبةَ وتركض طافيه !

* * *

وَرفلتُ فِي الثوب الذي أرسلتَهُ

لازلتَ ترفل في ثياب العافيه

مهما ابتعدتَ عن الكريم فعينُهُ

ترعاك حين تكون عينك غافيه

وتراه يرسل للصديق تحيّةً

حرّى ويُتبعها ثيابًا ضافيه

هوّن عليك فإنَّ من أكرمته

بتحيّةٍ لَيرى التحيةَ كافيه

فهي العزاء لمن نأى عن داره

وهي الدواء لكلّ داءٍ شافيه !

حزيران ١٩٦٢

الجزائر

جزائرَ النضال يامنشئةَ الأبطالْ

إنّ انتظارنا مجيءَ الفجر فيكِ طالْ

لكنّهُ أتى

برغم من عنا

فاضطرمت نفوسُنا

وارتفعت رؤوسُنا

وامتلأت كؤوسُنا

بخمرة المنعة والعزّة والجلالْ

* * *

جزائرَ الريحان يا أعجوبةَ الزمانْ

ياقبّةَ المجد وياقاعدةَ الإيمانْ

إيمان من يسق

مزرعةَ الحقّ

بسائلٍ من الدمِ

يخضب كلّ لهذمِ

لاتندمى لاتندمى

هاقد نَمَت أدواحها ملتفّةَ الأغصانْ

* * *

جزائرُ الصقور ياحاضنةَ الصقورْ

يامن على صخرتها تحطّم الغرورْ

ياقلعةُ الرجا

تَحمى من التجا

وياسياجَ العَرَبِ

فى غَمَرات الكُرَبِ

على بنيكِ النُجُبِ

تحيةُ الزنبق والعنبر والبخورْ

* * *

جزائرَ الأحرار ياجزائرَ الأحرارْ
يهنيكِ هذا النصرُ ، هذا المجدُ ، هذا الغارْ
حملتهِ لنا
في موكب السنا
نخفقت بنودُنا
وزأرت أسودُنا
وانتفضت جدودُنا
تُبارِكُ الكبشَ الذي قد ذَبَحَ الجزّارْ !

٤ تموز ١٩٦٣

شعرة معاوية

لم يبقَ منا شاعرٌ أو راويه

إلاّ وذكّركم بقول معاويه

لا تقطعوا بيد الحماقة شعرةً

ما بعدها إلاّ ظلام الهاويه

فطها العنادُ على التعقُّل والهوى

طَرَحَ النصيحةَ جانبًا فى زاويه

فتصدّع الحصنُ الذى كانت إلى

عتباته تصل الذئاب العاويه

حتى إذا سمعت زئيرَ أسودنا

ورأت مخالبَهنّ فرّت طاويه

* * *

لمّا غويتم فى السياسة أصبحت

تُكسى عروبتكم ثياب الغاويه

كانت تفيض نضارةً فغدت ـ لما
عبثت بها أيدى المطامع ـ ذاويه
وتحوّلت تلك الأناشيد التى
تُعلى الجباه إلى شتائمَ كاويه
أنا لستُ أعجب من ضآلة أنفسٍ
خُلقت كأجنحة البراغش ضاويه
جاع الغرابُ كدأبه ، فنعابُهُ
سجعٌ كقرقرة البطون الخاويه !

* * *

لا يخدعنّكم الهدوء فيومكم
آتٍ وأمتكم عليكم ناويه ...
سودُ السحائب سوف يترك سيلُها
آمالكم تحت الجلامد ثاويه .

آب ١٩٦٢

أسود اليمن

تعالى زئيرُ أسود اليمنْ فرجَّ السفوح وهزّ القُننْ

وأقلقَ عمّانَ رجعُ صداه ومن فى الحجاز ومن فى عدن

فسدَّ الثلاثةُ آذانهم وهبّوا يريدون وقفَ الزمن

يريدون ممن رأى الحقَّ أن

يظلَّ كما كان عبدَ الوثن

ومن يريد الحياةُ الكريمةَ

ألا يحاولَ قطعَ الرسن

ومن عاقلٍ عاش بعد الممات

أن لا يمزّقَ عنه الكفن

فكان اصطدامٌ وكان انتقامٌ

وكان انهزامٌ لباغى الفتن

ففرَّ سعودٌ (بأخوانهِ)

وفرَّ الحسينُ وفرَّ الحسن

وجاء الصباحُ فغطّى البطاحَ
وأشرقت الشمسُ فوق الزمن
وقد كسب الشعبُ حريّةً
وحقًّا وكان النجيعُ الثمن

* * *

أصنعاءُ يا قلعةَ الثائرين
يهنيكِ هذا الصنيعُ الحسن
كسرت (السيوفَ) التي سلّها
لقتل الكرامة عهدُ المحن
لقد صدئت وعلاها الغبارُ
إلى أن أتى يومها المرتهن
وإن يكُ طال عليها الزمان
فما ذاك إلاّ لطول الوسن
فلم تكُ أصلاً من المرهفاتِ
ولو نسبوها إلى ذي يَزَن !

• • •

أصنعاءُ هــذا الشعاع الجديدُ
سوف يُزيل ركام العفن
ستصفو العقولُ وتصفو النفوسُ
وتشدو العنادل فوق الفنن
وتلقى العروبة كسبًا لهـا
تقوّى به روحهـا والبدن
قريباً سيلقى عدوُّ البلاد
في كلِّ مدرسةٍ في اليمن
شبابًا ينادي حذارِ حذارِ
فإنّا نموتُ ليحيا الوطن !

تشرين الأول ١٩٦٢

انتهى الديوان

حفل تكريم لفرحات

بمناسبة مرور خمسين عاما على نشر أول قصيدة له

في مساء ٨ ديسمبر ١٩٦٦ أقيمت حفلة تكريم للشاعر المهجري الكبير إلياس فرحات في مدينة الأفق الجميل، بمناسبة مرور خمسين سنة على نشر أول قصيدة من شعره، وقد أقيمت الحفلة في قاعة النادي السوري البرازيلي، وحضرها وفود من مدن البرازيل الكبرى، وأرسلت الحكومة السورية برقية رقيقة مشاركة منها في الحفلة وإظهاراً لشعورها نحو الشاعر المكرم المحتفى به. وقد تبارى الشعراء والخطباء في الحديث عن الشاعر وشعره. وشكر عصام إلياس فرحات المحامي نجل الشاعر، ثم الشاعر نفسه، جميع المتحدثين والمشتركين في الحفلة بكلمات فياضة ...

— عن صحيفة برازيل لبنان عدد ١٦ ديسمبر ١٩٦٦ —